مجلة ثهلان

تصدر شهرياً تابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية-
كلية العلوم الاجتماعية- قسم التاريخ و الحضارة.
السنة الأولى- العدد الثالث " عدد خاص بمناسبة منتدى الزيارة و
العمرة بالمدينة المنورة - شوال ١٤٤٧ هـ

HTTPS://THAHLAN.COM

موضوعات العدد :

١- كلمة رئيس تحرير مجلة ثهلان

٢- مقالات في التاريخ و الفكر و الثقافة

٣- نبذة عن كتاب

٤- معالم تاريخية

٥- حوار مع شخصية تاريخية

كلمة رئيس تحرير مجلة ثهلان

في محاولة لقراءة هذا التاريخ الذي يحمل في طياته هجرة إبراهيم، وسعي هاجر، ورسالة خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم، يسلّط هذا العدد الضوء على (تاريخ الحرمين الشريفين، والسيرة النبوية، وطرق الحج، وكتب الرحلات)، كما يبرز أهمية طرق الحج التاريخية وما فيها من معالم حضارية. وينتقل بنا كُتّاب هذا العدد إلى كتب الرحلات، حيث تكمن أهميتها في تدوين التاريخ الاجتماعي، والاقتصادي، والعمراني، والعلمي، في محاولة لأخذ صورة كاملة للحدث التاريخي، وسبر أغواره، وفهم حركة الإنسان.

ثهلان مبادرة طلابية تهدف إلى تعزيز مهارات الكتابة الموضوعية والإبداعية، وحبّ القراءة والتعلّم، وصقل القدرة على التحليل والاستنتاج. وتسعى المجلة، قدر المستطاع، إلى بناء جسر بين الأكاديميين وقرّاء التاريخ ومحبيه، متخذةً من التاريخ موضوعًا رئيسًا، ومن الثقافة بمفهومها العام أفقًا أوسع لمحتواها.
إن هذا العدد هو العدد الثالث لها، وهو إصدار خاص بمناسبة منتدى الزيارة والعمرة المقام في المدينة المنورة، والتي ستشارك فيه جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ويتناول العديد من الموضوعات التاريخية والثقافية.

في الختام، لا يسعني إلا أن أشكر جميع من ساهم في دعم هذه المجلة، بدءًا من جامعتنا جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ورئيس قسم التاريخ والحضارة بكلية العلوم الاجتماعية الدكتور عبد المحسن الرشودي ، وأعضاء هيئة التدريس، وكُتّابنا الأعزاء الذين لولا الله ثم لولاهم لما صدر هذا العدد، ولقرّاء ثهلان الكرام، إذ هم الداعم الأكبر لاستمرار المجلة.
نأمل أن نكون قد وُفِّقنا في تقديم هذا العدد. إن أصبنا فمن الله، وإن أخطأنا فمن أنفسنا والشيطان.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
تركي بن سلطان القحطاني

مقالات

قراءات في التاريخ والفكر والثقافة

الكرنتينة: تاريخ الحجر الصحي وحماية الحجاج في المملكة العربية السعودية..

بقلم:د. ساره بنت عواض البقمي

من بوابة جدة البحرية إلى منظومة وقائية متكاملة لضيوف الرحمن

في النصف الأول من القرن العشرين، كانت سفن الحجاج القادمة من آسيا وإفريقيا ترسو تباعاً في ميناء جدة، حاملة معها آلاف القادمين إلى الديار المقدسة لأداء مناسك الحج. وبينما كانت أفئدة الحجاج تتجه شوقاً إلى المسجد الحرام، كان هناك خط دفاع صحي يسبق رحلتهم الروحية؛ إجراءات وقائية تهدف إلى حماية الحجاج وسكان البلاد من الأمراض المعدية التي قد تنتقل عبر البحر. وفي جنوب المدينة نشأ موقع عُرف باسم الكرنتينة، ليؤدي دور المحجر الصحي الذي يستقبل القادمين ويفحصهم قبل السماح لهم بمتابعة رحلتهم إلى مكة المكرمة.

تكشف قصة محجر الكرنتينة عن جانب مهم من تاريخ إدارة الحج في المملكة العربية السعودية؛ إذ لم يقتصر الاهتمام على الجوانب الدينية والتنظيمية فحسب، بل امتد ليشمل الجوانب الصحية والوقائية التي تضمن سلامة الحجاج وسكان البلاد على حد سواء. فقد أدركت الدولة منذ وقت مبكر أن حماية الصحة العامة جزء أساسي من خدمة ضيوف الرحمن، خاصة في مدينة مثل جدة التي استقبلت أعداداً كبيرة من الحجاج من مختلف أنحاء العالم.

وتُعد الكرنتينة واحدة من المحطات المهمة في تاريخ تطور الخدمات الصحية في المملكة، إذ ارتبط اسمها ببدايات التنظيم الصحي الحديث لمكافحة الأوبئة والأمراض المعدية. ويعود اسم "الكرنتينة" إلى الكلمة الإنجليزية QUARANTINE التي تعني الحجر الصحي، وقد تعرّبت الكلمة في الاستخدام المحلي لتصبح اسماً للموقع الذي خُصص لعزل المرضى أو المشتبه بإصابتهم بالأمراض المعدية، حماية للمجتمع وضماناً لسلامة الحجاج.

بدايات الحجر الصحي في مدينة جدة

عرفت جدة فكرة الحجر الصحي منذ العهد العثماني في القرن التاسع عشر، حين أُنشئت مرافق صحية لمراقبة السفن القادمة إلى الميناء وفحص ركابها قبل السماح لهم بدخول المدينة.

مقالات

قراءات في التاريخ والفكر والثقافة

وكان مكتب طبيب الصحة يتولى مهمة الكشف على الوافدين من البواخر والتأكد من خلوهم من الأمراض المعدية، إضافة إلى إصدار شهادات صحية تثبت سلامتهم عند القدوم والمغادرة.

وفي حال الاشتباه بوجود إصابات، كان الركاب يُنقلون إلى موقع الحجر الصحي في جزيرة أبو سعد الواقعة جنوب جدة، حيث يقضون فترة المراقبة الطبية قبل السماح لهم بدخول المدينة. وقد أسهم هذا النظام في الحد من انتشار الأوبئة التي كانت تنتقل عبر الرحلات البحرية في تلك الفترة

وقبل ظهور الكرنتينة المعروف اليوم، وُجدت قلعة للحجر الصحي خارج أسوار جدة القديمة، أدت دوراً مهماً منذ القرن السابع عشر في حماية المدينة وسكانها من الأمراض الوافدة. ومع مرور الوقت أصبح اسم الكرنتينة متداولاً بين الأهالي للإشارة إلى المنطقة المرتبطة بالحجر الصحي

نقلة نوعية في عهد الملك سعود - رحمه الله-

شهدت خدمات الحجر الصحي في جدة تطوراً ملحوظاً منتصف القرن العشرين، عندما أمر الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود - رحمه الله - بإنشاء محجر صحي حديث في حي الكرنتينة عام 1375هـ (1956م)، في إطار جهود الدولة لتطوير القطاع الصحي ومواكبة المعايير الدولية في مكافحة الأمراض الوبائية، خاصة مع تزايد أعداد الحجاج القادمين بحراً إلى الأراضي المقدسة.

توثيق تاريخي من صحيفة أم القرى

تؤكد المصادر الصحفية المعاصرة لهذه المرحلة أهمية هذا المشروع في تنظيم الجوانب الصحية للحج. فقد نشرت صحيفة أم القرى في عددها الصادر يوم الجمعة 24 شعبان 1375هـ الموافق 16 إبريل 1956م خبراً يفيد بأن المملكة العربية السعودية أنشأت أكبر محجر صحي في الشرق الأوسط، مشيرة إلى أن خبراء منظمة الصحة العالمية أعربوا عن إعجابهم بفخامة الاستعداد وضخامة البناء المخصص لهذا الغرض.

مقالات

قراءات في التاريخ والفكر والثقافة

كما أوضحت الصحيفة أن الحكومة السعودية حرصت على توفير أفضل الخدمات الصحية لضيوف الرحمن القادمين عبر البحر إلى جدة قبل انتقالهم إلى مكة المكرمة لأداء مناسك الحج. ولهذا الغرض تقرر إنشاء محجر صحي متكامل تُجرى فيه الفحوص الطبية للحجاج وتُطبّق فيه إجراءات المراقبة الصحية وفق التقارير الطبية الدولية، بما يضمن سلامتهم ويحد من انتقال الأمراض المعدية.

حماية الحجاج والصحة العامة

كان الهدف الرئيس من إنشاء محجر الكرنتينة حماية الصحة العامة وضمان سلامة الحجاج قبل انتقالهم إلى مكة المكرمة لأداء مناسك الحج والعمرة. فمع وصول السفن إلى ميناء جدة، كان الأطباء المختصون يقومون بفحص الركاب للتأكد من خلوهم من الأمراض المعدية مثل الكوليرا والملاريا وغيرها من الأوبئة المنتشرة آنذاك.

وعند الاشتباه بوجود إصابة، يُنقل المرضى أو المشتبه بهم إلى مرافق الحجر الصحي لتلقي الرعاية الطبية اللازمة حتى يتم التأكد من سلامتهم.

جريدة أم القرى في يوم الجمعة ٢٤ شعبان سنة ١٣٧٥ — الموافق ٦ ابريل سنة ١٩٥٦ م

المملكة العربية السعودية

تنشىء اكبر محجر صحى فى الشرق الاوسط

خبراء منظمة الصحة العالمية يعجبون بفخامة الاستعداد، وضخامة البناء

لما كانت الحكومة السعودية وعلى رأسها جلالة الملك سعود الاول المعظم ساعية لمسايرة ركب الحضارة الحديثة ومجاراة فى ان تضرب بسهم وافرفى دهم كل ما من شانه جعل البلاد السعودية فى مقدمة البلاد المتمدنة فى مختلف نواحى النشاط ،

فتمشيا مع هذا المبدأ وتحقيقا لرغبة جلالة الملك المعظم الحريص على راحة شعبه وتقدم بلاده وبذل كل الجهود والانفاق بسخاء واغداق الخير العميم على وفود بيت الله الحرام وزوار هذا البلد المقدس فى ان يجعلهم ينعمون بقضاء وقت سعيد مدة اقامتهم فى هذا البلد السعيد وان يؤدوا مناسكهم فى راحة وامان وان يغادروها وهم يحملون اطيب الذكريات واحسن الصور فيلهجون بالدعاء القائم بامر العناية بهم لما يلقونه من تكريم وترحاب ،

فبهذا ذلك رأت وزارة الصحة السعودية تحقيقا لذلك وتمشيا مع النهضة الشاملة فى المملكة العربية السعودية ان تنشىء محجر صحيا يكون مقره جدة ليؤدى الخدمات اللازمة لحجاج بيت الله الحرام عند مغادرتهم البلاد واعطاء التقارير السنوية لسلامة الحج ونظافته من الاوبئة على ضوء التقارير الواردة اليه وبعد اجراء الفحوص اللازمة لذلك وحتى تتمكن الحكومة السعودية من المطالبة بالغاء الحجر الصحية والمراقبة المفروضة من الحكومات على الحجاج العائدين من الحجاز بعد اداء فريضة الحج ،

وقد اختير لاقامة المحجر المكان الصحى المناسب والصالح لمثل هذه المهمة وبعد دراسة الخبراء الفنيين والمختصين فى اعمال المحاجر الصحية والكرنتينات وقد عنيت الحكومة السعودية بهذا المحجر عناية بالغة حتى أتى على احدث المحاجر الصحية بناءا ، وفنا ، وتنسيقا ، وروعة ،

أما الركاب الذين يثبت خلوهم من الأمراض فكانوا يحصلون على شهادة صحية تسمح لهم بمتابعة رحلتهم إلى مكة المكرمة.

تطور الجهاز الصحي في المملكة العربية السعودية

جاء إنشاء محجر الكرنتينة ضمن منظومة أوسع من الجهود التي بذلتها الدولة لتطوير القطاع الصحي. فبحلول عام 1375هـ بلغ عدد الأطباء العاملين في الجهاز الصحي في المملكة نحو 261 طبيباً، إضافة إلى 16 طبيباً بيطرياً وأكثر من 1500 عامل صحي مساعد من الرجال والنساء.

مقالات

قراءات في التاريخ والفكر والثقافة

كما خُصص عدد من العاملين لمكافحة الأمراض المتوطنة مثل الملاريا، حيث بلغ عددهم نحو 64 موظفاً يعملون في برامج الوقاية والمكافحة.

دلالة تاريخية

تمثل تجربة الكرنتينة مثالاً مبكراً على وعي الدولة السعودية بأهمية التنظيم الصحي والوقاية من الأوبئة، خاصة في مدينة تستقبل أعداداً كبيرة من الحجاج القادمين من مختلف دول العالم. كما يعكس إنشاء هذا المحجر الصحي رؤية الدولة في تلك المرحلة لمواكبة التطور العالمي في مجال الطب الوقائي، مع الحرص على الجمع بين خدمة الشعائر الدينية ومتطلبات الصحة العامة.

وهكذا لم تكن الكرنتينة مجرد موقع للحجر الصحي، بل كانت شاهداً على مرحلة مبكرة من بناء منظومة صحية حديثة في المملكة العربية السعودية، جمعت بين خدمة الحجاج وحماية المجتمع، وأسست لخبرة طويلة في إدارة الصحة العامة في مواسم الحج.

ختاماً

لقد شكلت تجربة الكرنتينة في جدة نقطة فاصلة في تاريخ الصحة العامة بالمملكة العربية السعودية، حيث جمعت بين البعد الوقائي والتنظيم الدقيق لخدمة ضيوف الرحمن. لم تكن مجرد موقع للحجر الصحي، بل كانت نموذجاً متكاملاً لإدارة المخاطر الصحية المرتبطة بالحج، وأساساً لتأسيس خبرة طويلة في التخطيط الصحي لمواسم الحج السنوية.

تدل الكرنتينة على وعي الدولة المبكر بأهمية الصحة العامة كجزء لا يتجزأ من خدمة الحجاج، وتجسد رؤية المملكة في الجمع بين الحفاظ على الطقوس الدينية وتوفير بيئة آمنة وسليمة للزوار والمجتمع المحلي. إن هذه التجربة التاريخية تبرز دور المملكة الريادي في تطوير نظم وقائية متقدمة، وتمد جسور المعرفة والخبرة في مجال الصحة العامة لأجيال لاحقة، مؤكدة أن حماية الحجاج وحفظ سلامة المجتمع ليست مسؤولية مؤقتة، بل استراتيجية مستدامة تشكل جزءاً من الهوية الوطنية للمملكة العربية السعودية.

مقالات

قراءات في التاريخ والفكر والثقافة

ياباني في أرض الحرمين:
رحلة «محمد صالح سوزوكي»...
الجسر الروحي بين طوكيو ... ومكة

بقلم: سهام بنت مسفر الشيباني / طالبة ماجستير تاريخ حديث ومعاصر

في مطلع القرن العشرين، وفي أبريل من عام 1904م، شهدت محافظة كاناغاوا ميلاد «تاكيشي سوزوكي»؛ تلك البقعة اليابانية التي تتجاوز فيها همسات الجبال مع أنفاس طوكيو المتسارعة، جاء تاكيشي آخرَ العنقود بين أربعة إخوة، في أسرة يابانية تقليدية حافظت على إرثها عبر أواخر عصر "ميجي" الذهبي، ووقفت على أعتاب التحوّل الذي يعيد تشكيل اليابان نحو الحياة العصرية. حيث كبر الفتى في بيت يفيض بالانضباط والجماليات اليابانية التقليدية، بينما كان إخوته يشقون طرقهم نحو دروب الفنّ والعمل الإداري في الدولة،

وحده تاكيشي بدا وكأنه يستمع إلى نداء لا يسمعه سواه ، نداء عميق يدفعه إلى الأفق البعيد، " كان "تاكيشي" يسير وفق إيقاعٍ مختلف، مدفوعاً بفضولٍ فطريٍّ وشغفٍ مبكّرٍ بالترحال والاستكشاف قاده إلى العمل في شركات تجارية كبرى في جزر إندونيسيا البعيدة، حيث وجد العالم الدي يشبه روحه القلقة الباحثة عن كل مثير وجديد.

لم يكن أهله في اليابان، الذين اعتقدوا لفترة أن ابنهم قد ضلّطريقه المهني، يدركون أن هذا الشاب الطموح كان على موعدٍ مع تحوّلٍ روحيٍّ وتاريخيٍّ سيهزّ وجدانه تمامًا؛ تحوّلٍ بدأ من مدينة «تيدجين» الصينية في عام 1933م، حيث تلاشت الحواجز الثقافية أمام نور الإسلام الذي هدى بصيرته، فأعلن إسلامه، وسمّى نفسه«محمد صالح». لم يكن إسلامه عن قناعة عقلية عابرة، بل اعتقاد نيّر صار منهج حياة، فأصبح شعلةً متّقدةً في صدره دفعته ليكون أول رحالة ياباني يوثّق رحلة اليقين من "أرض الشمس المشرقة" إلى "مهبط الوحي"، متحدّيًا بذلك قيود الجغرافيا واختلاف اللغات وتحديات العصر، وليشدّ الرحال إلى الحجّ ثلاث مرات: بدأت أولاها عام 1935م، ثم عاد بشوق أكبر في عام 1937م، و ليتوج مسيرته الروحية برحلته الثالثة الأخيرة في عام 1938م (الموافق لعام 1356 هـ) .

مقالات

قراءات في التاريخ والفكر والثقافة

ينبع اختياري لتسليط الضوء على رحلة «سوزوكي» في هذا المقال من إيماني العميق بأن رحلته تمثّل النموذج الأسمى لعالمية الإسلام وقدرة المقدّسات على صهر الهُويات القومية؛ فهي ليست "مذكرات حاجّ" يسرد مناسكه، بل تُعدّ اليوم من أهمّ المصادر والمراجع للتاريخ الحديث لمنطقة الحجاز، وخاصّةً في وصف العمران و أركان الحياة الاجتماعية وطبيعة الحياة اليومية في مكة المكرمة والمدينة المنورة خلال تلك الحقبة المفصلية. لقد قدّم «سوزوكي» "عينًا يابانيةً" فريدةً تجمع بين دقة الملاحظة التقنية الصارمة والرهبة الروحية الصامتة؛ وهو ما أعطى زاوية رؤية غير مسبوقة لأدب الرحلات الحجازية، فقد وثّق بالكلمة والصورة كيفية تحوُّل رحلة الحجّ من مغامرة محفوفة بالمخاطر والأهوال إلى مسيرة آمنة ومنظمة، وميسّرة بفضل قيم الحزم والعدل والنهضة التي أرساها الملك عبدالعزيز.

في رحلته الاستهلالية عام 1935 م غادر «سوزوكي» موانئ اليابان في رحلة بحرية شاقّة استغرقت أسابيع طويلة، وصف خلالها لحظات الوداع ، وكأنه ينسلخ من جلده القديم ، ليستقبل روحًا جديدة .

وحين بدأت تلوح في الأفق ملامح جدة (بوابة الحرمين) وقف «سوزوكي» لخلع ثيابه اليابانية التقليدية، وليرتدي ملابس الإحرام، واصفًا إياها بـ"ثوب المساواة المطلقة"، ففيها يتساوى الغني والفقير، ويختفي "التميّز العرقيّ"، ليذوب الجميع في وحدة إنسانية كبرى تلهج بلسان واحد: "لبيكَ اللهم لبيك". وعندما وطئت قدماه أرض مكة تحوّل «سوزوكي» إلى "مؤمن هائم"، واصفًا الكعبة المشرفة بأنها مركز الكون الذي يربط الأرض بالسماء، وتتآلف عنده الأرواح.

ولم تقتصر مشاهداته على الروحانيات، بل سجّل بدقّة مذهلة تفاصيل الأسواق، وعادات الناس في المأكل والملبس، وطرق القوافل التي بدأت تشهد دخول السيارات لأول مرّة، لتجاور الإبل في مشهد يجمع بين الأصالة والحداثة، وهو ما كان ثمرة للاستقرار الذي وفّرته حكومة الملك عبدالعزيز.

اهتمّ «سوزوكي» برصد التحوّلات الاجتماعية والاقتصادية خصوصا ؛ فوصف ببراعة كيف بسطت الدولة الأمن الشامل الذي جعل من الأسواق الحجازية بيئةً حيويةً يختلط فيها التجار من كلّ أصقاع الأرض ، من دون خوف على نفسٍ أو مالٍ ، وهو ما وصفه بأنه معجزة تنظيمية في قلب الصحراء.

مقالات

قراءات في التاريخ والفكر والثقافة

كان يراقب بدقة نظام "الزمازمة" وتوزيع المياه المباركة، ونظام المطوّفين العريق، وكيف دُمجت هذه التقاليد القديمة في منظومة إدارية حديثة تضمن سلامة الحجاج، وأُنجز كذلك برؤية طموحة أرسى دعائمها الملك عبدالعزيز.

وفي مشعر عرفات، وسط تلك الحشود التي تجمّعت تحت شمسٍ الحجاز، كان القدر يخبئ لـ«سوزوكي» حدثًا تاريخيًا مميّزًا، فلقد كان الملك عبدالعزيز يحرص في كلّ عام على جعل الحجّ "المؤتمر الإسلامي السنوي الأكبر" ملتقًى يجتمع فيه بضيوفه من شتى أقطار العالم، ويسمع منهم، ليعزّز أواصر الوحدة الإسلامية، فقد كان يدرك قيمة التواصل مع مسلمي الشرق الأقصى، فاستُدعي الحاجّ اليابانيّللقاء ملكيّ مهيب. يصف «سوزوكي» وقوفه أمامَ الملك عبدالعزيز بإجلالٍ عظيم، فقد وجد فيه شخصيةً فريدةً جمعَ بين هيبة القائد وتواضع المؤمن.

تكرّرت رحلات «سوزوكي» ثلاث مرات، وهذا ما منحه فرصةً نادرةً لمراقبة التطوّر المتسارع في مكة المكرمة؛ فقد رصد في كلّ مرّة تحسّنًاملموسًا في المرافق العامة، وتراجعًا تامًّا لمظاهر الخوف، وأشاد بالنهضة التنظيمية التي جعلت من الحجّ تجربةً ميسّرةً.

ولم يقتصَر أثر هذه الرحلات على الجانب الشخصيّ لدى «سوزوكي»، بل صار بعد عودته إلى اليابان قياديًّا إسلاميًّا يدافع عن حقوق المسلمين في شرق آسيا، ويُذكَر له موقفه الشجاع في إندونيسيا عام 1945م، حين أصرّ في أثناء وضع مسوّدة الدستورعلى أن يبدأ دستور استقلال إندونيسيا بعبارة «بسم الله الرحمن الرحيم»، مجادلًا العسكريين اليابانيين بأن هذا شأن دينيّ لا يقبل المساومة، مستمدًّا قوّته من تربيته الروحية التي صُقِلت في رحاب الحرمين الشريفين، ومن روحه القيادية التي استلهمها من لقاءاته بالملك المؤسس عبدالعزيز آل سعود.

لقد كان «سوزوكي» يرى أن الحرمين الشريفين هما للملك عبدالعزيز بوصلة الحكم ومنتهى الغاية؛ فقد نذر الملك نفسه لخدمة أطهر البقاع؛ وهو ما جعل من رحلة «سوزوكي» وثيقةً تشيد بما تحقّق تحت قيادته (رحمه الله).

لم يكن لهذه المذكرات الثمينة والرحلة العظيمة أن تصل إلينا لولا العناية الكريمة والجهد المؤسسي اللذين تبذلهما مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، التي تولّت بأمانة علمية رصينة ترجمةَ مذكرات «سوزوكي» من لغتها اليابانية، ونشرتها تحت عنوان «ياباني في مكة».

مقالات

قراءات في التاريخ والفكر والثقافة

لقد أدركت المكتبة برؤيتها الثاقبة أن «سوزوكي» لم يكن محض حاجّ، بل كان "سفيرًا فوق العادة" نقل قيم الإسلام والعدالة والنهضة، التي رآها بعينيه تحت قيادة الملك عبدالعزيز، إلى ميادين الفكر والسياسة في اليابان وإندونيسيا.

ومن أهمية الكتاب المترجم أنه يضمّ أيضًا صورًا فوتوغرافيةً نادرةً التقطتها عدسة «سوزوكي» نفسه، تمنح القارئ رؤيةً بصريةً حيّةً تعكس الحياة الاجتماعية والعمرانية في الحجاز قبل نحو قرن من الزمان، وهو ما يجعل منه كنزًا وثائقيًّا يخدم أهداف منتدى العمرة والزيارة.

واليومَ، ونحن نستحضر ذكرى «محمد صالح سوزوكي»، نؤكّد أن رحلته هي إرثٌ إنسانيّ وإسلاميّ محفوظ بمرور الزمن، وهي قبَسٌ يذكّرنا بأن رسالة الحرمين الشريفين هي رسالة قيادةٍ وبناءُ إنسانٍ، تذوب معها المسافات، وتتوحّد خلفها القلوب مهما تباعدت الأوطان.

لقد أثبت «سوزوكي» بصبره وتوثيقه أن مكة المكرمة ستبقى دائمًاالملاذَ الآمنَ لكلّ القلوب المؤمنة، وأنها القِبلة التي تهوي إليها الأفئدة،تحت ظلّ القيادة التي جعلت من رعاية ضيوف الرحمن أسمى غاياتها، رعايةٍ بدأت واستمرت بفضل الله، ثم بفضل الحكمة والعدل اللذين أرساهما ورعاهما الملك عبدالعزيز وأبناؤه البررة من بعده.

ختامًا فإن رحلة «سوزوكي» الياباني إلى مكة هي قصة نجاح رجل واحد استطاع أن يكوّن جسرًا ثقافيًّا وروحيًّا بين الشرق الأقصى وقلب العالم الإسلامي، ليخلّد ذكره واحدًا من أهمّ الرحالة الذين وثّقوا عظمة النهضة السعودية الحديثة، التي انطلقت بقيادة الملك عبدالعزيز، ولتبقى مذكراته منارةً للباحثين عن ملامح الحياة الاجتماعية والعمرانية في أطهر بقاع الأرض.

مقالات

قراءات في التاريخ والفكر والثقافة

بين ضوء الحرمين وخطى الرحالة

بقلم : عبير الرشيدي /باحثة ماجستير

لم تقتصر مكة والمدينة يومًا على كونهما مجرد منطقتين على خارطة العالم الإسلامي، إلا أنهما كانتا - ولا تزالان - قلبًا نابضًا للذاكرة الدينية والحضارية. فإليهما اتجهت القلوب قبل الأقدام، وشُدّت الرحال منذ الالاف السنين، ومن هذا المنطلق؛ وُلد أدب الرحلات إلى الديار المقدسة، بوصفه سجلًا إنسانيًا فريدًا يمزج بين الرؤية الشخصية-للرحالة- والتوثيق التاريخي، وبين دهشة اللقاء الأول وهيبة المكان الذي تشكلت فيه ملامح رسالة الدين الإسلامي بكل وضوح.

وشكّلت الرحلات إلى الحرمين مصدرًا مهمًا من مصادر التاريخ الاجتماعي والحضاري. فالرحالة؛ بخلاف المؤرخين الرسميين، كانوا يلتقطون التفاصيل الصغيرة، منها على سبيل المثال لا الحصر، حركة الأسواق، لهجات الناس، تنظيم القوافل، مظاهر الأمن، وحلقات العلم. ومن خلاله يُنقل الوصف كما رأه الرحالة، وتنقل أجواء المواسم كما عاشوها، فتركوا لنا نصوصًا ثرية تُمكن القارئ من إعادة بناء الصورة الذهنية لمكان ما في لحظة تاريخية محددة.

وتناول عددٌ من الرحالة الكتابة عن مكة والمدينة في مؤلفاتهم، إلا أنّ بعضهم تميّز بدقة الوصف وغزارة التوثيق، حتى أفرد لهذه المشاهدات كتبًا خاصة.

ويأتي في طليعة من قدّم وصفًا دقيقًا لهما الرحالة الأندلسي **ابن جبير** من القرن السادس الهجري في كتابه **(رحلة ابن جبير)** فقدسجّل في رحلته مشاهداته للحج، ووصف بدقة تنظيم الشعائر، وأشار إلى عناية القائمين على خدمة الحجاج، كما رسم صورة حية لعمران المسجد الحرام وأروقته. ويلحظ القارئ أن كتابه يجمع بين الحس الإيماني والرصد الإداري، مما جعل نصه وثيقة تاريخية ذات قيمة مزدوجة، روحية وتنظيمية.

ويتبعه بعد ذلك **ابن بطوطة في كتابه (تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)** في القرن الثامن الهجري، الذي كرر زيارة مكة أكثر من مرة، وأطال المقام فيها. وتتجلى في نصوصه دهشة لقائه بالحرم المقدس، ويظهر وصف الطواف والسعي والوقوف بعرفة بوصفه تجربة وجدانية عميقة

مقالات

قراءات في التاريخ والفكر والثقافة

بيْدَ أنه لم يكتفِ بإظهار الجانب السلوكي لممارسة العباداتَ، إلا أنه أشار إلى حلقات العلم في الحرم، وتنوع الجنسيات واللغات في موسم الحج، مما يعكس هذا الوصف عالمية الشعيرة منذ قرون مبكرة.

ونجد أن قراءة **ابن بطوطة**تكشف لنا عن كيفية كون الحج مساحة للتواصل الثقافي، إذ تتلاقى فيه أطراف العالم الإسلامي في نقطة واحدة، وعلينا أن نوضح أن ابن بطوطة يمثل سردية الداخل المؤمن؛ بمعنى يدون الملاحظات بهوية المسلم الحاجّ، الذي يعيش التجربة من الداخل، بعكس السرديات الخارجية التي كان دورها يتمحور في المراقبة والتوثيق.

ونرصد في القرن التاسع عشر اتخاذ الكتابة مسارًا مستحدث عما قبل، فقد دخلت نصوص الرحالة الغربيين إلى المشهد الوصفي لمكة والمدينة، ومن أبرزهم **ريتشارد بيرتون في كتابه "الحج إلى المدينة ومكة"(1855_1856)م** الذي تمكن من دخول مكة متخفيًا بزي رجلاً أفغاني، لعزمه على اتخاذها محطة عبور للانطلاق منها لعبور الصحراء_ الجزء الشرقي من شبه الجزيرة العربية_ والذي لم يكن قد استكشف من قبل، فقد قدّم **بيرتون** وصفًا دقيقًا للبنية العمرانية والشعائر، ودوّن ملاحظاته عن الكعبة المشرفة من خلال قياس طولها وعرضها، وقام برسم ما شاهده على حاشية ثوب إحرامه الأبيض، وتأثر بيرتون تأثرًا لا حد له، ليس بمنظر الكعبة فحسب، لكن بالإخلاص والحب الشديد الذي يبديه الحجاج. غير أن نصه – رغم قيمته التوثيقية – يحتاج إلى قراءة نقدية واعية، إذ يتأثر بالخلفية الاستشراقية وبزاوية نظر خارجية تختلف عن نظرة الرحالة المسلمين. وهنا تظهر أهمية مهارة التعامل مع أدب الرحلات بوصفه نصا مزدوجًا؛ بمعنى يعتبر مصدر تاريخي، لكنه أيضا يعبر عن رؤية ذاتية مرتبطة بثقافة الكاتب وخلفيته.

ويتجلى لنا وصفًا من زاوية أخرى في القرن العشرين، حيث برزت **إيفلين كوبولد** كنموذج فريد من نوعه، كونها أول امرأة أوربية تقدم على خطوة الحج بإذن خاص من الملك عبدالعزيز_ طيب الله ثراه_ قفد دونت **الليدي إيفلين في كتابها (من لندن إلى مكة)**_بعد أن أشهرت إسلامها وأطلقت على نفسها اسم (زينب) _رحلتها إلى الحج بروحانية واضحة، وتكشف كتاباتها عن تحول كبير في النظرة الغربية إلى الحرمين، من فضول استكشافي إلى تجربة إيمانية شخصية،حيث يجمع الكتاب بين طرافة أدب الرحلات من خلال رصد الحياة في الشرق بعيون غربية موضوعية، وبين حميمية أسلوب اليوميات واعتنائه بالتفاصيل البسيطة، وبذلك نستنتج؛ أنه مهما تتعدد الأصوات، وتتغير الزوايا، يبقى المكان ثابتًا في رمزيته، متجددًا في تمثلاته

مقالات

قراءات في التاريخ والفكر والثقافة

وسجل الرسام الفرنسي **(ألفونس أتين دينيه)** اسمه كأول من رسم لوحات عن رحلة الحج، إذ رسم ثماني لوحات بديعة عن الأماكن المقدسة، وحظي كتابه بإعجاب المثقفين المسلمين وقتها خاصة الأمير **(شكيب أرسلان)**، واستطاع **(دينيه)** أن ينقضّ الكتب الغربية التي شوهت فريضة الحج في نظر الغربيين.

ويندرج أيضًا من ضمن الرحالة الذين زاروا الحجاز تشارلز داوتي وهو رحالة انجليزي، انضم إلى قافلة الحج تحت اسم مستعار_خليل_ وكتب كتابه (الجزيرة العربية الصحراوية)، ولكن لم تكن كتاباته مباشرة أو قائمة على دخول الحرمين كما فعل الرحالة المتخفّين، لكنها جاءت ضمن سياق أوسع في رحلته داخل الجزيرة العربية، وكان مراقبًا فقط من الخارج، لذلك جاءت إشارته لهما_ مكة والمدينة_ أقل تفصيلاً وأقرب إلى التحليل الاجتماعي منها إلى الديني.

ومن خلال ما سبق نجد أن تصفح مدونات المشاهدات والرحلات إلى مكة والمدينة تتيح لنا الفهم العميق لتاريخ الحج والعمرة، ليسبوصفهما شعيرتين مقدستين، لكن بكونهما ظاهرتين حضاريتين ممتدتين. فالحج؛ عبر الأزمنة التاريخية، كان ملتقى للأعراق واللغات والثقافات، ومساحة لتبادل المعرفة والخبرات.

وقد دّون الرحالة هذا التنوع بدقة، فذكروا القوافل القادمة من المغرب والأندلس وبلاد الشام واليمن والهند وأفريقيا، ووصفوا الطرق البرية والبحرية، وما يعتريها من مشقة أو سلام.

كما تجدر الإشارة إلى أن هذه النصوص تكشف للقارئ بشكل دقيق عن تطور إدارة الحرمين عبر الفترات التاريخية المتعاقبة، ويتضح ذلك من خلال أنظمة السقيا والضيافة، إلى تنظيم الحشود، وكذلك توسعات البناء التي كان الهدف المحوري منها استيعاب الأعداد المتزايدة في كل عام.

ومن خلال مقارنة أوصاف الرحالة _ كتباتهم _ عبر فترات زمنية مختلفة، يمكن للقارئ أن يتتبع التحولات العمرانية والاجتماعية بكل وضوح، ويتجلى له بشكل واضح رؤية ملامح الاستمرارية والتغير في آن واحد.

ومن زاوية منهجية، فإن نصوص الرحلات تدعونا إلى اتباع نمط ممارسة القراءة النقدية المتوازنة، بحيث نُقدّر قيمتها بوصفها شهادات معاصرة، وأيضًا نُدرك في الوقت نفسه أنها نصوص ذاتية وليست أمرًا مُسلم به، قد تتأثر بانطباعات كاتبها بشكل خاص. فبين الوصف والخيال، وبين الإعجاب والنقد، تتشكل سردية العابر، ولكن علينا الاتفاق أن الحقيقة الثابتة هي **(بقاء قدسية المكان باعتبارهاعنصرًا ثابتًا يتجاوز حدود الأفراد والأزمنة.**

مقالات

قراءات في التاريخ والفكر والثقافة

ومن هذا المنظور، حين نتصفح مدونات الرحالة، فإننا نغوص في وثائق غير مباشرة تكشف لنا عن تطور القيادة المؤسسية في إدارة أعظم تجمع بشري دوري في التاريخ، وهذا يدّل على الاستدامة عبر العصور، من خلال أن المنظومة الناجحة تسعى للتطور الدائم ولا تكتفي بفكرة الإرث.

حين تشكل المجتمع: ملامح العمران في العصر النبوي:

بقلم: راكان بن غيث العتيبي/ طالب ماجستير في التاريخ الإسلامي

لقد شكّل مفهوم العمران حجر الأساس في رؤية ابن خلدون لفهم المجتمعات واستقرارها، إذ تميّز بتقديم هذا المفهوم كمفهوم مستقل، وجعل مقدمته الشهيرة تقوم على شرحه وربط كثير من مفاهيمه ومصطلحاته الأخرى به، فهو يعرّف العمران في جوهره بأنه الاجتماع الإنساني وما ينشأ عنه من نظم الحياة وأحوال المجتمع، ثم يفسّر هذا الاجتماع من خلال منظومة من المفاهيم التي تدور في فلكه مثل الحضارة والبداوة والمعاش والطبائع والعصبية وغيرها من المفاهيم الخلدونية التي تكشف عن طبيعة حركة المجتمع وتحوّلاته، ويعدّ هذا التعريف نواة التأسيس لعلم الاجتماع، حيث اتخذ ابن خلدون من العمران ركيزة معرفية ومصطلحاً مرجعياً يفسر ظواهر الاجتماع البشري .

ويلاحظ أن بعض الباحثين يستخدمون الحضارة كمفهوم مرادف للعمران، وهو ما قد يوقع في شيء من اللبس، غير أن ابن خلدون يفرّق بينهما بوضوح؛ فالعمران عنده هو الإطار الأشمل الذي يعبّر عن مجمل الاجتماع البشري ونظامه، أما الحضارة فهي مرحلة من مراحله وصورة من صوره، تمثل حالاً من أحوال العمران عندما يبلغ المجتمع درجة من الاستقرار والترف واتساع مظاهر الحياة المادية والثقافية، وتصل الحضارة إلى أعلى درجاتها في رأيه حين يتم إحكام الصنائع، وبذلك يكون العمران أعمّ وأوسع من الحضارة لأنها ليست إلا تجلّياً من تجلياته، وبعد توضيح هذا الفرق يطرأ لبس واضطراب عام في تعريف العمران نفسه، إذ يربطه بعضهم بالاجتماع الإنساني كما عند ابن خلدون، بينما يربطه آخرون بالبنية المادية والمباني، وهذا التباين يبرز الحاجة إلى تعريف أكثر شمولية ودقة.

والعمران في اللغة هو نقيض الخراب، كما جاء عند الراغب الأصفهاني في "المفردات في غريب القرآن"

وهو اسم ومصدر يؤول إلى مادة "عمر" وفيه دلالة على سعي البشر إلى إحياء الأرض وتعميرها حتى تصبح مأهولة معمورة، كما أشار إلى ذلك ابن فارس في تهذيب اللغة. والتعريفات اللغوية فيه متباينة..

مقالات

قراءات في التاريخ والفكر والثقافة

أما من حيث الاصطلاح، فقد اختلف الباحثون المعاصرون في تحديدٍ حدود مفهوم العمران اختلافاً ملحوظًا ولعل التعريف الأقرب لما أراه هو تعريف فريد الأنصاري، الذي يرى أن العمران ليس مجرد بناء مادي أو تخطيط حضري، بل هندسة الإنسان وقيمه وفكره في مجتمع متماسك تتكامل فيه الأبعاد الروحية والاجتماعية والثقافية، وهو بهذا المعنى تعريف ينسجم في جوهره مع تصور ابن خلدون للعمران بوصفه نظامًا شاملًا للحياة الإنسانية تتجلى آثاره في سلوك الأفراد وعلاقاتهم كما تنعكس في مظاهر العمران المادية.

واذا كان العمران في حقيقته هو الاجتماع الإنساني وما ينشأ عنه من نظم الحياة، فإن السيرة النبوية تمثل النموذج العملي الأوضح لتجسيد هذا المفهوم، حيث ظهرت فيها مراحل متتابعة لبناء المجتمع وفق هدي الوحي وسنن الاجتماع الإنساني.

وقد بدأت ملامح هذا البناء منذ بعثة النبي ﷺ، حين أعلن رسالته التي تهدف إلى إصلاح الإنسان وتقويم أخلاقه، كما جاء في قوله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق». (أخرجه أحمد والبيهقي والحاكم، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة).

ويكشف هذا الحديث عن حقيقة جوهرية في البناء العمراني الإسلامي، وهي أن إصلاح الأخلاق يمثل الأساس الذي يقوم عليه المجتمع، إذ لا يمكن قيام عمران مستقر دون منظومة قيم تضبط سلوك الأفراد وتنظم علاقاتهم.

وفي المرحلة الأولى من الدعوة في مكة تشكّل نواة المجتمع الإسلامي في دار الأرقم، حيث اجتمع المسلمون سرًّا لتلقي التربية الإيمانية والتوجيه النبوي. وقد مثّلت هذه المرحلة الأساس التربوي والفكري، إذ انصبّ التركيز فيها على بناء الإنسان قبل بناء المجتمع، وترسيخ العقيدة في النفوس قبل الانتقال إلى مراحل التنظيم الاجتماعي. ومن هنا تبدو دار الأرقم وكأنها مدرسة تأسيسية لبناء المجتمع الإسلامي.

وخلال المرحلة المكية عاش المسلمون ظروفًا صعبة من الاضطهاد والمقاطعة الاجتماعية، غير أن هذه المرحلة لم تكن مجرد زمن معاناة، بل كانت مرحلة إعداد عميق لترسيخ صفة الصبر والثبات في نفوس المؤمنين، حتى تتكوّن جماعة قادرة على تحمّل مسؤولية البناء الاجتماعي في المستقبل.

مقالات

قراءات في التاريخ والفكر والثقافة

ثم جاءت الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة لتشكّل نقطة تحول حاسمة في مسار العمران الإسلامي؛ فقد انتقل المسلمون من مرحلة الاستضعاف إلى مرحلة التأسيس الاجتماعي والسياسي. وفي المدينة بدأ المجتمع الإسلامي يتشكل بصورة أوضح، حيث اجتمع المسلمون على قوة تنظيمية وروحية مكّنتهم من إقامة مجتمع متماسك يقوم على التعاون والتكافل. ومن أبرز مظاهر هذا البناء العمراني تأسيس المسجد، الذي لم يكن مجرد مكان للصلاة، بل مركزًا للحياة الاجتماعية والتعليمية والسياسية، ففيه تعقد حلقات العلم، وتناقش شؤون المجتمع، وتتخذ القرارات المهمة التي تتعلق بمصالح المسلمين، وبذلك أصبح المسجد المؤسسة الأولى التي تشكل حولها المجتمع الإسلامي في المدينة.

كما قام النبي ﷺ بتنظيم السوق، الذي أصبح حلقة أساسية في الحياة العامة، حيث كانت قواعده تعزز العدل والأمانة، وتدعم الروابط بين الناس، فتسهم في استقرار المجتمع وازدهاره. ومن أبرز خطوات التنظيم الاجتماعي أيضًا المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، التي كانت خير مثال للدعم والتعاون بين أفراد المجتمع، فربطت بين النفوس وعززت الشعور بالمسؤولية المشتركة، ووفرت قاعدة اجتماعية قوية لمواجهة تحديات المرحلة الأولى من بناء المدينة.

ومع استقرار المجتمع بدأت مرحلة جديدة من مسيرة البناء تمثلت في الغزوات التي خاضها المسلمون دفاعًا عن مجتمعهم الناشئ. ولم تكن هذه الغزوات مجرد مواجهات عسكرية، بل كانت مدرسة تربوية كشفت عن سنن مهمة في حياة المجتمعات، مثل أهمية القيادة وقيمة التضحية وضرورة وحدة الصف. وقد أظهرت أحداث مثل غزوة بدر أثر الإيمان والتماسك الداخلي في تحقيق النصر، كما أبرزت غزوة أحد خطورة مخالفة القيادة وما يترتب عليها من آثار في مسار المجتمع.

ومع توالي هذا النضج في البناء العمراني للمجتمع الإسلامي، بدأت تتشكل مرحلة انتقالية نقلت المجتمع من طور التأسيس الداخلي إلى آفاق النصر والتمكين. وفي هذا السياق يرى الدكتور عزيز البطيويفي كتابه "سنن العمران البشري في العصر النبوي" أن صلح الحديبية مثّل جسر العبور إلى هذه المرحلة؛ لما أوجده من قدر من الاستقرار والهدوء أتاح للدعوة أن تنتشر في نطاق أوسع.

ومع اتفاقي مع الدكتور البطيوي في إبراز الأهمية الاستراتيجية لصلح الحديبية، فإنني أميل إلى أن ملامح هذا التحول بدأت قبل ذلك بقليل، وتحديدًا عقب غزوة الأحزاب.

مقالات

قراءات في التاريخ والفكر والثقافة

فبانكسار تحالف المشركين انحسر الضغط العسكري الذي كان يحيط بالمدينة، وأعلن الرسول ﷺ ملامح المرحلة الجديدة بقوله: «نغزوهم ولا يغزوننا». **(أخرجه البخاري في صحيحه، وهو من أفراد البخاري على مسلم)** ويكشف هذا القول بوضوح انتقال المسلمين من مرحلة الدفاع المستمر إلى مرحلة المبادرة، الأمر الذي يجعل صلح الحديبية امتدادًا طبيعيًا لهذا التحول أكثر من كونه نقطة بدايته الأولى.

وبلغت مسيرة العمران النبوي ذروتها في خطبة حجة الوداع، التي تمثل تتويجًا لمسيرة بناء المجتمع الإسلامي. ففي هذه الخطبة تم وضع المبادئ الكبرى التي تنظم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وتؤكد على الأمن والاستقرار، واحترام الحقوق، وتعزيز التضامن والتكافل بين أفراد المجتمع، والالتزام بالقيم والأخلاق، فمثلتهذه الخطبة أعظم معالم السيرة في بناء مجتمع متماسك ومستقر يقوم على أسمى معاني القيم والأخلاق.

خلاصة:

تُقدّم السيرة النبوية نموذجًا متكاملًا لمسيرة العمران الإنساني، بدءًا من تنشئة المجتمع أخلاقيًا وروحيًا، وبناء شخصية فردية قادرة على تحمل المسؤولية، ثم تكوين جماعة مؤمنة تتعاون وفق المبادئ السليمة، وصولًا إلى إقامة مجتمع منظم يحقق الاستقرار والنظام، مع ترسيخ قواعد تحفظ استمراره على مر الزمن.

وتعكس هذه المراحل اهتمامًا متوازنًا بجوانب الحياة كافة، مما يجعل السيرة النبوية دليلًا عمليًا لفهم طرق البناء العمراني بصورة عميقة ومتقنة. فما أعظم هذه السيرة، نور الهداية ومنهل الفضائل، فصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ضيوف الرحمن: رحلة عبر الزمان من مشقة الطريق إلى تيسير العصر :

بقلم : نوره سعود الشمري

صورة من الذكاء الاصطناعي

ليست رحلة العمرة أو زيارة المسجد النبوي مجرد انتقال من مكان إلى آخر، بل هي رحلة إيمانية عميقة يقطع المسلمون من أجلها آلاف الأميال شوقًا إلى بيت الله الحرام ومسجد رسوله ﷺ.

وفي قلب هذه الرحلة تقف المملكة العربية السعودية، بتاريخها ومسؤوليتها، لتقديم نموذجًا متفردًا في خدمة ضيوف الرحمن، امتدادًا لإرث طويل من العناية بالحجاج والمعتمرين عبر العصور.

مقالات

قراءات في التاريخ والفكر والثقافة

إرث خدمة الزوار عبر التاريخ

إذا عدنا إلى الماضي، نجد أن طرق الحج والعمرة لم تكن سهلة كما هي اليوم، بل كانت مليئة بالتحديات والمشقة، فقد كانت قوافل الحجاج تسير عبر الصحارى، معتمدة على الآبار ومحطات الاستراحة، ومن أشهر تلك الطرق "درب زبيدة" التاريخي، الذي اشتهر ببركه وآباره التي شُيدت قبل مئات السنين لسقيا الحجاج وتأمين رحلتهم

وعلى مرّ القرون، وصفت كتب الرحالة كيف كان سكان هذه البلاد يحرصون على استقبال الزائرين وتقديم العون لهم، وقد تعزز هذا النهج في العهد السعودي، حتى أصبحت خدمة الحجاج والمعتمرين منظومة متكاملة تقوم على التنظيم والرعاية وتيسير أداء المناسك.

عمارة الحرمين: تطور يخدم الطمأنينة

شهد المسجد الحرام والمسجد النبوي عبر التاريخ مراحل متعددة من التوسعة، بهدف استيعاب الأعداد المتزايدة من الزوار، ومع تطور الزمن تحولت عمارة الحرمين من البناء البسيط القديم إلى صروح معمارية تجمع بين الجمال الهندسي والراحة العملية، فالممرات الواسعة، وأنظمة التبريد المتطورة، والخدمات المتعددة، كلها صُممت لتوفر للمعتمرين والزوار أجواء من السكينة والطمأنينة

تجربة الزائر في العصر الحديث

في العصر الحديث، شهدت الخدمات نقلة نوعية كبيرة، حيث أصبحت الرحلة أكثر تنظيمًا وسهولة بفضل التطور التقني فقد وفرت المملكة حلولاً رقمية تسهّل إجراءات السفر، إضافة إلى وسائل النقل الحديثة مثل قطار الحرمين الذي يربط بين مكة والمدينة بيسر وسرعة ويمثل هذا التطور امتدادًا لقيمة أصيلة في المجتمع السعودي، تقوم على اعتبار خدمة ضيوف الرحمن شرفًا ومسؤولية كبيرة

صورة من الذكاء الاصطناعي

إن رحلة العمرة وزيارة الحرمين الشريفين ليست مجرد تجربة سفر، بل هي رحلة روحانية تبقى في ذاكرة المسلم طوال حياته ومع ما شهدته الخدمات من تطور كبير عبر التاريخ، تظل العناية بضيوف الرحمن رسالة متواصلة تجمع بين أصالة القيم ووسائل العصر، ليبقى الحرمين الشريفين مقصدًا آمنًا ومألوفًا لاستقبال الملايين في كل عام.

مقالات

قراءات في التاريخ والفكر والثقافة

الحج في ذاكرة شعوب آسيا الوسطى:

بقلم : عفاف بنت صياح الشمري / باحثة ماجستير تاريخ حديث ومعاصر

الحمد لله الذي جعل القلوب تهوي إلى بيته العتيق، وجعل الحجّ معراجاً للأرواح ومغسلاً للذنوب والخطايا، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، إن فريضة الحج بالغة الأهمية والمكانة، لاسيما في وجدان مسلمي دول آسيا الوسطى، فهيا الفريضة والركن الخامس من أركان الإسلام حيث أمر الله بها في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: 97]، ارتبطت جهوريات آسيا الوسطى وهيّا التي تتكون من خمسة جمهوريات: جمهورية أوزبكستان، وجمهورية تركمانستان، وجمهورية قيرغيزستان، وجمهورية طاجيكستان، وجمهورية كازاخستان، برباطٍ مقدّسٍ مع مكة المكرمة، والذي جاء امتثالاً لنداء خليل الله إبراهيم -عليه السلام- في قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: 27]، ورحلة الحج في تأريخ آسيا الوسطى لم تكن مجرد إنتقال جغرافي والذهاب الى مكة لأداء فريضة الحج، بل قد تكون اشبه بملحمة البقاء والصمود،

وقسمتها على أربعة مراحل، وهيَ كالاتي:

- المرحلة الأولى: (1-13هـ /7 -19م):

تمثل هذه المرحلة بدايات انتشار الإسلام في آسيا الوسطى، حين أصبحت المنطقة جزءًا مهمًا من العالم الإسلامي، وارتبط سكانها دينيًا وثقافيًا بالحرمين الشريفين، ومع دخول الإسلام إلى مدن كبرى مثل بخارى وسمرقند، وغيرهما، كما كانت من أهم الحواضر والمراكز العلمية التي أسهمت في ازدهار الحركة العلمية الإسلامية، خرج منها كبار العلماء والذي كان لهم أثر بالغ في نشر العلوم وإزدهار الحضارة الإسلامية ، فعلى سبيل المثال لا الحصر:

١-محمد بن موسى الخوارزمي، توفي نحو 232هـ/847م، من كبار علماء الرياضيات والفلك، واضع أسس علم الجبر والخوارزميات، ويُنسب إليه إدخال الأرقام العربية والهندية إلى العالم الإسلامي والغرب.

٢- أبو نصر محمد بن محمد الفارابي، توفي 339هـ/950م، فيلسوف ومنطقي بارز، لُقّب بالمعلم الثاني بعد أرسطو، وأسهم في شرح الفلسفة اليونانية وصياغة نظرية المدينة الفاضلة.

مقالات

قراءات في التاريخ والفكر والثقافة

٣ -أحمد بن محمد الفرغاني، توفي بعد 247هـ/861م، عالم فلك من فرغانة، برز في علم الهيئة وحساب حركات الأجرام السماوية، وتُرجمت مؤلفاته إلى اللاتينية فأثّرت في علم الفلك الأوروبي في العصور الوسطى.

٤ -محمد بن إسماعيل البخاري، توفي256هـ/870م، صاحب كتاب الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخاري، الذي يعد من أهم كتب الحديث النبوي.

٥ -محمد بن عيسى الترمذي، توفي 279هـ/892م، أحد كبار أئمة الحديث، وصاحب كتاب الجامع، المعروف بسنن الترمذي.

٦ - أبو علي الحسين بن عبد الله ابن سينا، توفي عام 428هـ/1037م، فيلسوف وطبيب موسوعي، من أبرز أطباء الإسلام، وصاحب كتاب القانون في الطب.

٧ - أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، توفي عام 440هـ/1048م، عالم في الفلك والجغرافيا والرياضيات والتاريخ، من أبرز علماء الحضارة الإسلامية.

صفحة من كتاب ابن سينا القانون بالطب، من مكتبة قطر الوطنية.

- **المرحلة الثانية: (القرن 13-مطلع الـ14هـ/19-مطلع الـ20م):** في هذه الفترة كانت الإمبراطورية الروسية هي المسيطرة على منطقة آسيا الوسطى، وأتسمت علاقة الإمبراطورية الروسية بحجاج منطقة آسيا الوسطى بنوع من الحذر والترقب؛ فلم تكن البدايات صدامية بشكل مباشر، بل نستطيع أن نصف العلاقة بأنها متذبذبة؛ ففي بعض الفترات سُمح بالحج مع فرض رقابة إدارية وتنظيم لطرق السفر، حيث اضطرت حكومة الإمبراطورية الروسية إلى اتخاذ تدابير لإبقاء الحجاج تحت سيطرتها،

مقالات

قراءات في التاريخ والفكر والثقافة

ونظمت رحلات الحج عبر مسارات محددة، كان هناك ثلاثة مسارات لهذه الرحلة: الشمال، والقوقاز، والجنوب، مستخدمة السفن والسكك الحديدية لنقل الحجاج، وتسيير سفينة باتجاه روسيا - جدة - بومباي (مومباي)، بينما فُرضت قيود في فترات أخرى بسبب المخاوف السياسية من تأثير العلماء والحجاج في نشر الأفكار المناهضة للحكم الروسي، ومن الأمثلة على ذلك، منع الحجاج من السفر، بعد ثورة مدلي إيشون عام 1316هـ/1898م، حيث مُنع المسلمون من أداء الحج لمدة عامين حتى 1318هـ/1900م.

نشطت الصحافة المحلية مثل الصحف التي تصدر باللغات الأوروبية والمحلية: صحف مثل تركستانسكي غولوس، أنديجان (TURKESTANSKIY GOLOS, ANDIJAN)، زاكاسبيسكوي أوبوزريني، عشق آباد، (ZAKASPIAN OBSERVER, ASHGABAT)، كافكاز إي سريدنيايا آزيا، باكو، (KAVKAZ I SREDNYAYA AZIYA, BAKU)، أوكرانيا، سمرقند (OUKRAINA, SAMARKAND)، سريدنيازاتسكي فيستنيك، طشقند (SREDNYAZATSKY VESTNIK, TASHKENT)،

وفي مجلة أوينا، سمرقند (AVINA, SAMARKAND)، بدأت تُنشر على نطاق واسع أخبار الحجاج وذكرياتهم، على سبيل المثال، نشرت صحيفة أوكرانيا (OUKRAINA, SAMARKAND)، التي صدرت في مدينة سمرقند بين عامي١٣٠٧-١٣١٥هـ/1890م-1898م، معلومات عن الحج على الطرق المحتلة للحجاج المسلمين من تركستان، لنقل أخبار الحجاج، مما عكس ارتباطاً ثقافياً لم ينقطع رغم الرقابة الصارمة والتصاريح الرسمية.

-المرحلة الثالثة: (1335م-1411م/ 1917م-1991م)

:خضعت منطقة آسيا الوسطى في هذي المرحله إلى سيطرت حكم الاتحاد السوفيتي حيث شكلت الحقبة السوفيتية منعطفاً حاداً واتسمت هذه المرحلة بسياسات الإلحاد والعلمنة والتي لم تستمر ليوم أو سنه أو سنتين، بل لقرابة ٧٠عام!

مقالات

قراءات في التاريخ والفكر والثقافة

أثرت هذه السياسة في الحياة الدينية بشكل كبير، حيث تراجعت الممارسات الدينية وفرضت قيود صارمة على الفرائض والشعائر الإسلامية، حيث إنه لم يسمح بالحج قانونيا في عام 1364هـ/1945م، وبأعداد رمزية ومقيدة جداً حتى مطلع القرن 15 هـ الموافق أوائل التسعينيات الميلادية، نتج عن هذه العزلة ما يُعرف بـ "الإسلام الشعبي"، حيث حافظت الطرق الصوفية (كالنقشبندية والياساوية والقادرية) على الجوهر الإيماني في مواجهة العلمنة الشمولية، خاصة في كازاخستان التي شهدت تأثراً أعمق بالإلحاد السوفيتي مقارنة بجيرانها الأوزبك، كما يُمكن إعتبار كازاخستان دولةً ذات مستوى ديني متدن مقارنةً بدول آسيا الوسطى الأخرى. وقد أشار الشيخ محمد صادق محمد يوسف في كتاب يوميات آسيا الوسطى إلى جانب من هذه المعاناة عندما تحدث عن استعداد المسلمين لاداء فريضة الحج بعد انقطاع طويل، من بعض جمهوريات آسيا الوسطى التي كانت جزءاً من الاتحاد السوفيتي سابقاً، فقد ذكر أن الاستعدادات كانت تجري لإرسال عدد من الحجاج السوفييت إلى الأراضي المقدسة، بلغ عددهم نحو ٥٠٠ حاج، وقد تطلّب ذلك تعاوناً بين الجهات الحكومية والهيئات المعنية لتوفير التسهيلات اللازمة للحجاج، بما في ذلك تنظيم الرحلات الجوية إلى جدة وتنسيق الإجراءات الرسمية، وبرزت مظاهر التضامن بين المسلمين في سبيل أداء هذه الفريضة، إذ ذُكر أن مصنع نسيج محلي قام بتجهيز ملابس الإحرام للحجاج، في حين تبرّع بعض الأشخاص بالمساهمة في نفقات الحج رغم ارتفاع تكلفته التي قُدّرت آنذاك بنحو أحد عشر ألف روبل للحاج الواحد! ولم يقتصر الدعم على الجوانب المادية فقط، بل شمل أيضاً الجهود الدعوية والثقافية؛ فقد طُلب إرسال المصاحف إلى المسلمين هناك، غير أن إدخالها عبر الطائرات الروسية لم يكن مسموحاً، الأمر الذي دفع الحجاج القادمين من السعودية إلى حملها معهم وتوزيعها عند وصولهم.

- المرحلة الرابعة (مابعد1411هـ/1991م):

Table 1: Muslim Population Trends in Central Asia 1950 – 2050 (in millions)

	1950	1960	1970	1980	1990	2000	2010	2020	2030	2040	2050
Uzbekistan											
Population	6.314	8.559	11.973	15.952	20.515	24.776	27.794	31.080	33.790	35.300	36.110
Muslims	5.316	6.947	9.920	13.650	18.164	23.859	26.766	30.180	32.900	34.500	35.300
Muslims %	84.20	81.17	82.85	85.57	88.54	96.30	96.30	97.10	97.37	97.73	97.76
Kazakhstan											
Population	6.703	9.996	13.110	14.919	16.530	14.957	15.753	17.880	19.240	20.500	21.680
Muslims	2.891	3.733	5.096	6.403	7.807	9.206	11.161	12.870	14.190	15.510	16.770
Muslims %	43.13	37.34	38.87	42.92	47.23	61.55	70.85	71.98	73.75	75.66	77.35
Tajikistan											
Population	1.532	2.082	2.942	3.953	5.303	6.173	7.075	8.430	9.910	11.170	12.280
Muslims	1.356	1.702	2.469	3.404	4.759	6.088	6.978	8.130	9.540	10.750	11.800
Muslims %	88.51	81.72	83.95	86.11	89.74	98.63	98.63	96.44	96.27	96.24	96.09
Kyrgyzstan											
Population	1.740	2.173	2.964	3.627	4.395	4.955	5.550	6.190	6.940	7.630	8.220
Muslims	1.181	1.288	1.837	2.414	3.170	4.217	5.049	5.540	6.280	6.980	7.600
Muslims %	67.86	59.28	61.97	66.56	72.13	85.10	90.97	89.50	90.49	91.48	92.46
Turkmenistan											
Population	1.211	1.594	2.188	2.861	3.668	4.502	5.177	5.740	6.300	6.680	6.910
Muslims	0.930	1.250	1.783	2.402	3.249	4.191	4.819	5.340	5.850	6.210	6.420
Muslims %	76.81	78.44	81.45	83.97	88.58	93.09	93.09	93.03	92.86	92.96	92.91
Total Central Asia											
Population	17.499	24.403	33.177	41.312	50.411	55.362	61.349	69.320	76.180	81.280	85.200
Muslims	11.674	14.919	21.105	28.274	37.149	47.560	54.773	62.060	68.760	73.950	77.890
Muslims %	66.71	61.14	63.61	68.44	73.69	85.91	89.2	89.53	90.26	90.98	91.42

مقالات

قراءات في التاريخ والفكر والثقافة

أدى انهيار الأتحاد السوفيتي عام ١٤١٢هـ/١٩٩١م إلى استقلال دول آسيا الوسطى، حيث شهدت المنطقة "انتعاشاً إسلامياً" واسعاً، ويظهر التحول الديموغرافي قوة هذا العودة، حيث ارتفع إجمالي سكان المنطقة من 17.5 مليون نسمة عام 1369هـ/1950م إلى 61.3 مليون نسمة عام 1431 هـ / 2010 م، وبلغ عدد سكانها في 1445هـ/2024م قرابة 36.7 مليون نسمة، كما أنها من أكثر الدول إرسالًا للحجاج إلى مكة المكرمة، ومن المتوقع أن يصل إلى 85.2 مليون نسمة بحلول عام 1472هـ /2050 م، وتعد فريضة الحج مخصصه للأشخاص الذين لديهم دخل متاح، وهذا يرفع من مكانة الحاج في نظر عامة الناس.

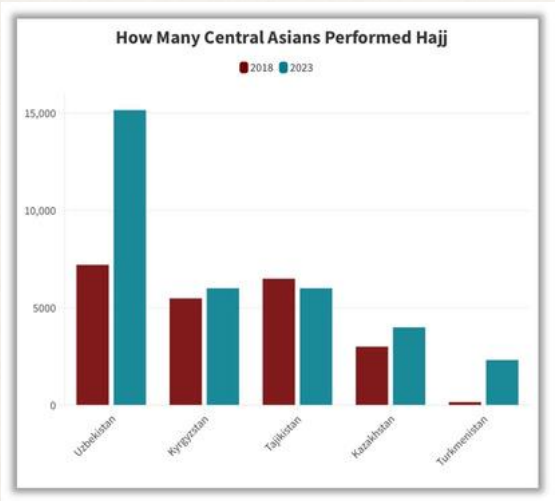

شهدت السنوات الأخيرة ارتفاعاً ونمواً متسارعاً في أعداد الحجاج القادمين من دول آسيا الوسطى، مما يعكس تحولاً جذرياً في القدرة المادية والسياسات التنظيمية في المنطقة، ففي جمهورية أوزبكستان على سبيل المثال ارتفع عددالحجاج من 7,350 حاجاً في عام 1438هـ/2017م، ليصل إلى 15,150 حاجاً بحلول عام 1444هـ/2023م، كما سجلت جمهورية تركمانستان طفرة مماثلة؛ فبعد أن أقتصر عدد حجاجها على 153 شخصاً فقط في عام 1439هـ/2018م، ارتفع العدد ليصل إلى 2,312 حاجاً، وبشكل عام تشير التقارير إلى أن أكثر من 120,000 شخص من دول آسيا الوسطى قد أدوا فريضة الحج خلال السنوات الخمس الماضية، وهو ما ينسجم مع النمو السكاني الكبير في المنطقة، حيث ارتفعت نسبة المسلمين من 67% عام 1369هـ/1950م، إلى 89% عام 1431هـ/2010م.

وفي جمهورية أوزبكستان برزت طقوس إحتفالية بعد أداء فريضة الحج أو العمرة مثل: هوجي توي والتي تعني **حفل الحاج**، وهو إحتفال قد يكون فخم أو يكون صغير، يُنظم للعائلة والأصدقاء لشخص الذي يعود من الحج أو العمرة،

مقالات

قراءات في التاريخ والفكر والثقافة

وبالنسبة لمعنى هوجي توي، هو مصطلح بلغة الأوزبك، حيث إن "هوجي" تعني "حاج"، و"توي" تعني "عرس" أو "احتفال كبير".

وتعد جمهورية أوزبكستان اليوم، الدولة الأكثر عدد حجاج القادمين من آسيا الوسطى، ويرجع ذلك إلى كونها الدولة الأكثرسكانًا في المنطقة؛ إذ يبلغ عدد سكانها نحو قرابة 36.7 مليون نسمة في عام 1445هـ/2024م، إضافة إلى إرتفاع نسبة المسلمين فيها مقارنة ببقية دول المنطقة، ولذلك تمثل أوزبكستان محورًا مهمًا في المشهد الديني المعاصر في آسيا الوسطى، ولا سيما فيما يتعلق بتنظيم الحج وتعزيز الروابط الدينية مع العالم الإسلامي.

وفي الختام يتضح لنا من خلال استعراض محطات مهمة من تاريخ الحج في دول آسيا الوسطى، أن هذه الشعيرة لم تكن مجرد رحلة دينية فحسب، وإن ظاهرة (هوجي توي) الإحتفالية في أوزبكستان والمكانة الرفيعة التي يحظى بها الحاج، تعكس تغلغل القيم الدينية في النسيج الثقافي بعد عقود من العلمنة المفروضة، وإن الربط بين نداءِ الخليل إبراهيم عليه السلام وبين الواقع المعاصر لهذ الشعوب، يؤكد أن مكة المكرمة لا تزال تمثل القطب الروحي الذي تنجذب إليه أفئدة الملايين من سهوب كازاخستان إلى جبال طاجيكستان، مرورًا بمدن أوزبكستان التاريخية، وواحات تركمانستان، ومرتفعات قيرغيزستان في وحدة شعائرية تتخطى حواجز الجغرافيا والتاريخ.

رحلة ايفلين كوبولد إلى الحج عام ١٩٣٣م:

بقلم : صباح رشود الرويلي.

يعد أدب الرحلات من المصادر المهمة في الدراسات التاريخية والأدبية؛ إذ يقدم وصفا مباشرا للأماكن والمجتمعات من خلال مشاهدات الرحالة وتجاربهم الشخصية. وقد شكلت رحلة الحج إلى الديار المقدسة موضوعا بارزا في هذا النوع من الأدب، حيث حرص العديد من الرحالة على تدوين مشاهداتهم أثناء توجههم إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، مسجلين ما رأوه من مظاهر دينية واجتماعية وثقافية. مشاهدات الرحالة لا تقتصر على الوصف الجغرافي للمكان، بل تتضمن أيضا ملاحظات عن الحياة اليومية للحجاج، وأنماط التفاعل بين الشعوب الإسلامية المختلفة.

مقالات

قراءات في التاريخ والفكر والثقافة

ومن بين الرحلات التي حظيت باهتمام الباحثين في العصر الحديث رحلة الرحالة البريطانية المسلمة إيفلين كوبولد (LADY EVELYN COBBOLD) التي وثقت تجربتها في كتابها PILGRIMAGE TO MECCA، والذي يعد من أهم المؤلفات التي تناولت تجربة الحج من منظور أوروبي في أوائل القرن العشرين، فهي أول بريطانية مسلمة تقوم برحلة الحج إلى الديار المقدسة.

نشأت كوبولد في أسرة بريطانية ذات مكانة اجتماعية مرموقة، غير أن حياتها شهدت تحولات فكرية وثقافية نتيجة احتكاكها المبكر بالمجتمعات الإسلامية، خاصة خلال إقامتها في شمال إفريقيا. وقد أبدت اهتماما واضحا بالدين الإسلامي وثقافته، الأمر الذي قادها في نهاية المطاف إلى إعلان إسلامها، سنة ١٣٣٣هـ / ١٩١٥م، وأختارت لنفسها أسماً جديداً وهو زينب، وبعد ذلك بسنوات قررت أداء فريضة الحج.

وذكرت أيضاً: " استغرق منه قطع مسافة ٢٥٠ ميلاً من جدة إلى المدينة المنورة ١٥ ساعة وأرفع قبعتي السيارة فورد الصغيرة التي حملتنا بشجاعة عبر تلك القفار الرملية".

وقد أولت كوبولد اهتمامًا كبيرًا بوصف المدن المقدسة، وخاصة مكة المكرمة، حيث قدمت وصفا تفصيليًا لأجواء المدينة أثناء موسم الحج. فقد تحدثت عن الحشود الكبيرة من الحجاج القادمين من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، والذين يجتمعون في مكان واحد لأداء شعائر دينية موحدة ويبرز في وصفها إدراكها للبعد العالمي للحج، إذ رأت فيه مناسبة دينية تجمع المسلمين على اختلاف أعراقهم ولغاتهم وثقافاتهم، مما يعكس وحدة العقيدة الإسلامية وروح التضامن بين المسلمين، ومن وصفها لذلك ماذكرت : " نسير على الرخام الأملس نحو قدس الأقداس، المكعب الأسود العظيم الذي يرتفع بجلال بسيط،

مقالات

قراءات في التاريخ والفكر والثقافة

الغاية التي ضحى في سبيلها الملايين بحياتهم، ووجد الملايين الآخرين جنتهم في التحديق إليه".

كما تناولت في رحلتها وصف الشعائر المرتبطة بالحج، مثل الطواف حول الكعبة المشرفة والسعي بين الصفا والمروة والوقوف بعرفة. وقد كتبت عن هذه الشعائر بأسلوب يجمع بين الوصف الدقيق والتأمل الروحي، حيث عبرت عن مشاعرها العميقة أثناء أداء المناسك، مؤكدة أن تجربة الحج تمثل لحظة روحية استثنائية في حياة المسلم، إذ لا يقتصر على تسجيل الأحداث، بل يكشف أيضًا عن التجربة الداخلية للرحالة وتأثره بالمكان والحدث.

ولم يقتصر اهتمام كوبولد على الجانب الديني فحسب بل امتد إلى ملاحظة الجوانب الاجتماعية والثقافية المرتبطة بالحج. فقد سجلت ملاحظاتها حول عادات الحجاج وتقاليدهم، وطبيعة التفاعل بينهم رغم اختلاف خلفياتهم الثقافية. كما وصفت بعض مظاهر الحياة في الحجاز، مثل الأسواق والأنشطة التجارية التي تنشط خلال موسم الحج، وهو ما يعكس الأهمية الاقتصادية لهذه الشعيرة إلى جانب أهميتها الدينية.

كذلك تناولت وصف البيئة الطبيعية في الحجاز، مشيرة إلى طبيعة الصحراء والطرق التي يسلكها الحجاج للوصول إلى مكة والمدينة. ويعد هذا الوصف من الجوانب المهمة في أدب الرحلات، لأنه يقدم صورة عن الظروف الجغرافية التي كانت تحيط برحلة الحج في تلك الفترة.

ومن الجوانب اللافتة في رحلة كوبولد أنها كتبت تجربتها بنبرة احترام واضحة تجاه الإسلام وشعائره بخلاف بعض الرحلات الغربية التي اتسمت أحياناً بنظرة استشراقية نقدية. فقد عبرت الكاتبة عن تقديرها العميق للمجتمع الإسلامي وللقيم الروحية التي يجسدها الحج.

ومن الجدير بالذكر سرد طريق رحلتها إلى الحج وصلت إيفلين في ٢٢ فبراير إلى السويس بمصر، ومنها اتجهت إلى مدينة بور فؤاد، حيث استقلت الباخرة الإيطالية المسماة "ميسواه" المتجهة إلى مدينة جدة.

مقالات

قراءات في التاريخ والفكر والثقافة

وبعد رحلة بحرية استغرقت نحو أربعة أيام عبر البحر الأحمر، وصلت أخيرا إلى سواحل المملكة العربية السعودية. وقد وصفت منظر مدينة جدة عند اقتراب السفينة من الميناء بقولها إن المشهد كان لافتا للنظر؛ إذ بدت المدينة من جهة البحر وكأنها لوحة تجمع بين اللونين الأبيض والبني وتشبه حصناً تحيط به الأسوار من ثلاث جهات، بينما ترتفع مآذنها عالية في الأفق.

وتضيف أيضاً بقولها إنه يُعد من عجائب الزمان، إذ تمتاز مياهه بصفاء ولمعان فريدين لا يكادان يشبهان ما في غيره من البحار. غير أن هذا الميناء، على الرغم من جماله، كان محفوفًا بكثرة الصخور والتكوينات البحرية، الأمر الذي كان يفرض على ربابنة السفن التي ترسو فيه قدرًا كبيرًا من الحذر، فلا يقتربون من المرفأ إلا بمقدار محسوب. وتشير الكاتبة إلى أن الزورق الذي أقلهم من الباخرة إلى المرفأ اضطر إلى قطع مسافة تقارب الميل الواحد عبر البحر، وقد ازداد إعجابها بما شهدته من مهارة البحار الذي كان يقود الزورق؛ إذ لم يكن يتجاوز العاشرة من عمره، ومع ذلك أظهر براعة لافتة في توجيه الزورق بين الصخور المنتشرة.

وعند وصولها إلى جدة أقامت لدى أسرة بريطاني مسلم هو هاري سانت جون فيلبي، الذي كان معروفًا بقربه من الملك عبدالعزيز آل سعود، فضلا عن شهرته كمستكشف ومغامر مولع بالصحراء العربية. وخلال إقامتها في المدينة الساحلية كانت تتابع باهتمام حركة قوافل الحجاج المتجهة إلى مكة المكرمة، إذ كانت تشاهدهم وهم يسيرون نحو الديار المقدسة على متن السيارات أو على ظهور الجمال، وأحيانا سيرا على الأقدام.

بدأت في سنة ١٣٤٧هـ / ١٩٢٩م، تفكر بالحج إلى المشاعر المقدسة، ولكن كانت هناك قيود على دخول الأجانب للمشاعر المقدسة وذلك لأن بعض الأوروبيون انتشر دخلهم متنكرين وكتبوا مغامراتهم، فقررت التواصل مع سفير مملكة الحجاز ونجد في لندن وبعد تأسيس المملكة العربية السعودية أصبح السفير السعودي في بريطانيا الشيخ حافظ وهبة ولكن يبدو أنها في عجلة من أمرها فواصلت مع سانت جون فيلبي. ولم تمض فترة طويلة حتى جاءها خبراً أسعدها، وهو صدور إذن ملكي يتيح لها دخول الأراضي المقدسة الأداء فريضة الحج.

مقالات

قراءات في التاريخ والفكر والثقافة

بدأت الاستعداد للانطلاق إلى مكة المكرمة، حيث سافرت ضمن قافلة صغيرة كانت تتكون من سيارة واحدة تضم السائق والطباخ، إضافة إلى رجل مسن من السودان رافق القافلة لمساعدتها والتخفيف من مشاق الطريق.

في مذكراتها تحدثت عن النساء في الحجاز بقولها: "لم تكن النساء متأخرات في الثقافة والتعليم، بل كن حريصات على البحث العلمي كازواجهن واخوتهن حصلن على شهادات في الطب والفقه، وشاركنا في مجد حضارة عريقة".

في ختام رحلتها، تقول: " تكفيني نظرة إلى دفتر مذكراتي، لأدرك أن كل هذا كان حقيقة مطلقة. لن يستطيع الزمان محو الذكريات التي حفرت في قلبي. ستظل بساتين المدينة وسكينة الجوامع وآلاف المصلين الذين مروا علي وأعينهم تفيض من الدمع تبتل خشوعاً، حاضرة في ذهني لن أنسى أبداً عظمة وجلال المسجد الحرام في مكة، ولن أنسى رحلة الحج في الصحراء قاصدين جبل عرفات. ستحمل روحي للأبد متعة الرضا والسعادة التي غشيتها. لم تحمل لي الأيام السابقة إلا الخير والجمال، والدهشة. لقد اكتشفت عالماً جديداً مذهلاً".

دخول الحرمين الشريفين تحت حكم الملك عبدالعزيز :

بقلم: شهد بنت محمد آل ردعان / طالبة ماجستير تاريخ حديث و معاصر

تُعدّ مكة المكرمة قلب العالم الإسلامي وموضع أنظار المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، لما تحمله من قداسة دينية ومكانة روحية عظيمة؛ ولذلك كان تاريخها السياسي دائمًا محط اهتمام القوى الحاكمة في المنطقة، وفي مطلع القرن العشرين شهدت هذه المدينة مرحلة تاريخية مهمة تمثلت في انتقالها إلى حكم الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود - رحمه الله- وذلك ضمن مسيرة توحيد البلاد التي قادها بحكمةٍ وحزم.

كانت أوضاع الحجاز بعد نهاية الحرب العالمية الأولى (1914-1918م) تتسم بعدم الاستقرار السياسي؛ نتيجة لتحولات التي شهدتها المنطقة، وفي ظل هذه الظروف، برزت حالة من التوتر بين الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود والشريف حسين بن علي، خاصه بعد أن أعلن الشريف حسين نفسه ملكًا على البلاد العربية، وهو إعلان لم يحظَ بقبول عدد من القوى والقيادات في المنطقة، ومن بينهم الملك عبدالعزيز، إذ رأى أن الشريف حسين لا يملك الحق في التحدث باسم العرب جميعًا أو تمثيلهم.

مقالات

قراءات في التاريخ والفكر والثقافة

ومع تصاعد التوتر بين الطرفين، وقعت مواجهة عسكرية بينهما تمثلت في معركة تربة عام (1338ه/1919م)، والتي انتهت بهزيمة قوات الشريف حسين، وكان لهذه المعركة أثر كبير في تعميق الخلاف بين الجانبين، إذ أعقبها قرار من الشريف حسين بمنع السعوديين من دخول الحجاز لأداء فريضة الحج، الأمر الذي أدى إلى انقطاعهم عن الحج لمدة خمس سنوات، ولم يستطع السعوديين الصبر عن مكة المكرمة وعن ترك ركن من أركان الإسلام مع قدرتهم عليه.

وفي محاولة لتسوية هذا الخلاف، عُقد مؤتمر في الكويت عام (1341ه/1923م)، لمحاولة إيجاد حل يرضي الطرفين ويعيد الاستقرار إلى المنطقة، إلا أن المؤتمر لم ينجح في تحقيق تسوية، بسبب إصرار الشريف حسين على أن يعيد الملك عبدالعزيز الأراضي التي كان قد بسط نفوذه عليها، ومع فشل هذا المؤتمر تضاءلت فرص الحلول السلمية، وأصبحت المواجهة العسكرية خيارًا مطروحًا.

وعلى إثر ذلك عقد الملك عبدالعزيز اجتماعًا في الرياض مع أعيان أهل نجد، لتجهيز القوات والاستعداد للحملة العسكرية باتجاه الحجاز، وانطلقت القوات قاصدة مدينة الطائف، حيث وقعت المعركة عام (1342ه/1924م) بين القوات السعودية بقيادة سلطان بن بجاد العتيبي وخالد بن لؤي، وبين قوات الشريف حسين بقيادة ابنه علي بن الحسين، وقد انتهت المعركة بانتصار القوات السعودية، التي تمكنت من السيطرة على الطائف في شهر صفر عام 1343هـ الموافق سبتمبر 1924م.

وقد ترتب على هذه التطورات السياسية والعسكرية أن تنازل الشريف حسين عن الحكم لابنه علي بن الحسين، وغادر مكة المكرمة متجهًا إلى جدة، وفي ظل هذه الظروف دخل الملك عبدالعزيز والقوات السعودية إلى مكة المكرمة محرمين معتمرين دون قتال في شهر ربيع الأول عام 1343هـ/ أكتوبر 1924م، وقد قال الملك عبدالعزيز: "إني مسافر إلى مكة، لا لتسلط عليها، بل لرفع المظالم عنها، إني مسافر إلى مهبط الوحي لبسط أحكام الشريعة، ولن يكون في مكة بعد الآن سلطان لغير الشرع". وبعد عام من دخول مكة المكرمة، واصل الملك بدالعزيز بن عبدالرحمن تقدمه نحو جدة ،و التي كانت تحت سيطرة الشريف علي بن الحسين ،

مقالات

قراءات في التاريخ والفكر والثقافة

ففرض عليها حصارًا استمر قرابة عام كامل، وفي أثناء ذلك استسلمت المدينة المنورة، ودخلت تحت حكم الملك عبدالعزيز ثم انتهى الأمر باستسلام جدة، وعلى إثر ذلك وقّع علي بن الحسين وثيقة تسليم الحجاز للملك عبدالعزيز.

وفي هذه المرحلة وجّه الملك عبدالعزيز بلاغًا عامًا إلى أهل الحجاز، سعى من خلاله إلى طمأنتهم وبث روح الأمان والسكينة في نفوسهم، وقد أوضح في هذا البلاغ سياسته التي ينوي اتباعها في إدارة البلاد، كما بيّن الأسباب التي دفعته إلى دخول الحجاز، وأعلن فيه عفوًا عامًا عن جميع القضايا السياسية، أما القضايا الجنائية فقد أحالها إلى القضاء الشرعي، نظرًا لارتباطها بحقوق العباد.

كما أكد في خطابه حرصه على بذل أقصى الجهود لتأمين الأماكن المقدسة وخدمة الحجاج، مبينًا في الوقت ذاته المبادئ العامة للنظام الذي سيُدار به الحكم في البلاد، وأوضح أن المرجع الأساس في ذلك هو القرآن الكريم والسنة النبوية.

العدد ٥٢ — السنة الثانية

كيف تحصن البلاد

كتب الى عمر بن عبدالعزيز بعض عماله يستأذنه في تحصين مدينته فكتب اليه حصنها بالعدل وانق الله من الظلم

ام القرى

الحلم

قال رجل للاحنف بن قيس ما هو الحلم يا أبا بحر قال هو الذل يا ابن اخي القصير عليه ؟

وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر ام القرى ومن حولها

جده في يوم الاحد ١١ جمادى الثانية سنة ١٣٤٤ — الموافق ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم

بلاغ عام

من عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل السعود الى اخواننا اهل الحجاز سلمهم الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فاني أحمد الله اليكم وحده الذي صدق وعده ونصر عبده واعز جنده وهزم الاحزاب وحده وانتم تعلمون بما لا مزيد عليه من هذا الفتح الذي نزال الله به الشر وحقن دماء المسلمين وحفظ اموالهم وارجو من الله أن ينصر دينه ويعلي كلمته وان يجعلنا وإياكم من انصار دينه ومتبعي هداه

اخواني : تعلمون اني بذلت جهدي ومافتئت ابدي في تخليص الحجاز الراحة لاهله وأمن الوافدين اليه اطاعة لامر الله قال جل من قائل (واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود) وقال تعالى (ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم)

ولقد كان من فضل الله علينا وعلى الناس أن ساد السكون والأمن في الحجاز من اقصاه الى اقصاه بعد هذه المدة الطويلة التي ذاق الناس فيها مرارة الحياة وتعابها

ولما أمّن الله بأمنه من هذا الفتح السلمي الذي كنا ننتظره وتتوخاه اطلت العفو العام عن جميع الجرائم السياسية في البلاد وأما الجرائم الاخرى فقد أحلت أمرها للقضاء الشرعي لينظر فيها بما تقتضيه المصلحة الشرعية في العفو

واني ابتدركم — عجل الله وفوده — أن بلد الله الحرام مثابة ومهبط وحي ومأمن وراحة واني ان شاء الله تعالى سأبذل جهدي فيما يؤمن البلاد المقدسة ويجلب الراحة والاطمئنان لها

فقد مضى يوم القول ووصلنا الى يوم البدء في العمل فاوصيكم ونفسي بتقوى الله واتباع مرضاته والحث على طاعته (ومن تمسك بالله فقد هداه ومن عاداه — والعياذ بالله — باء بالخيبة والخسران . أن لكم علينا حقوقا ولنا عليكم حقوقا فمن حقوقكم علينا النصح لكم في الباطن والظاهر واحترام دمائكم واعراضكم واموالكم الا بحق الشريعة وحقنا عليكم المناصحة والسلم مراة اخيه فمن رأى منكم منكرا في أمر دينه أو دنياه فليناصحنا فيه فان كان في الدين فالمرجع الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وان كان في أمر الدنيا فالعدل مبذول ان شاء الله للجميع على السواء

أن البلاد لا يصلحها غير الامن والسكون لذلك اطلب من الجميع ان يتحاموا الفتنة والطمأنينة وان احذر الجميع من نزغات الشياطين والاسترسال وراء الاهواء التي ينتج عنها فساد الامن في هذه الديار فاني لا ارعى في هذا الباب صغيرا ولا كبيرا وليحذر كل انسان أن يكون العبرة فيه لغيره هذا ما يتعلق بامر اليوم الحاضر واما مستقبل البلاد فالابد ان تدور من مؤتمر يشترك المسلمون جميعا فيه مع أهل الحجاز لينظروا في مستقبل الحجاز ونصالحها

وأني اسأل الله أن يديم نعمه جميعا وموفقا لما فيه الخير والسداد وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل السعود

محررا بجده في ٨ جمادى الثانية سنة ١٣٤٤

مقالات

قراءات في التاريخ والفكر والثقافة

نص البلاغ:

"من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ، إلى إخواننا أهل الحجاز.

سلمهم الله تعالى.

السلام عليكم ورحمة الله وبعد:

فإني أحمد الله الذي صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، وأهنئكم وأهنئ نفسي، بما من الله به علينا وعليكم، من هذا الفتح الذي أزال الله به الشر، وحقن دماء المسلمين، وحفظ أموالهم، وأرجو من الله أن ينصر دينه، ويعلي كلمته، وأن يجعلنا وإياكم من انصار دينه ومتبعي هداه.

إخواني تفهمون أني بذلت جهدي، وما تحت يدي في تخليص الحجاز، لراحة أهله، وأمن الوافدين إليه، إطاعة لأمر الله، قال جل من قائل: {وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ} وقال تعالى: {وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ }

ولقد كان من فضل الله علينا وعلى الناس، أن ساد الأمن والسكون في الحجاز، من أقصاه إلى أقصاه، بعد هذه المدة الطويلة، التي ذاق الناس فيها مر الحياة وأتعابها...الخ".

وقد أثمر هذا البلاغ أثره المنشود، إذ ساد الأمن والاطمئنان بين أهالي الحجاز، وقوبلت هذه السياسة بالقبول والرضا وفي أعقاب ذلك تمت البيعة للملك عبدالعزيز في مكة المكرمة في 25 جمادى الآخرة عام 1344هـ/ 9 يناير 1926م، وأصبح يحمل لقب ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها،

لتبدأ بذلك مرحلة جديدة في تاريخ الحجاز، اتسمت بالاستقرار السياسي في المنطقة، تحت حكم الملك عبدالعزيز ضمن مسيرة توحيد البلاد التي انتهت لاحقًا بقيام المملكة العربية السعودية.

وبعد دخول الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود الحجاز، دعا ممثلي الدول الإسلامية إلى الاجتماع في مكة المكرمة لحضور أول مؤتمر إسلامي، وقد عُرف هذا الاجتماع بـمؤتمر مكة الإسلامي (1344هـ/1926م).

وامتدت آثار هذه المرحلة لتشمل تنظيم شؤون الإدارة، وتوحيد الأنظمة، وترسيخ دعائم الحكم، بما أسهم في إرساء بنية دولة حديثة قائمة على الاستقرار والوحدة، كما انعكس هذا التحول على مختلف جوانب الحياة في الحجاز، فشهدت المنطقة تحسنًا في الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، وازديادًا في انتظام شؤون الحج وخدمة الحرمين الشريفين، مما عزز مكانة الدولة في العالمين العربي والإسلامي.

نبذة عن كتاب
قراءات في التاريخ والفكر والثقافة

موسوعة
(مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب)

بقلم: عبير الرشيدي / باحثة ماجستير

تعدّ موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب من درر التراث العثماني- تراث إسلامي- والمصنفات التاريخية التي وثقت الحجاز في القرن التاسع عشر، وقد ألّفها المؤرخ والضابط العثماني أيوب صبري باشا - الذي توفي في إسطنبول من عام(1290-1890)م- في إطار مشروع علمي أراد من خلاله تقديم صورة شاملة عن الحرمين الشريفين وأبعادهما الجغرافية والتاريخية، ودّعم هذا الأمر فترة اقامته الطويلة في الحجاز أثناء عمله في الإدارة العثمانية، الأمر الذي أتاح له الاطلاع المباشر على أحوال مكة والمدينة ومجتمعهما، مما ساعد على إثراء علمه ومشاهداته ورؤيته الشخصية، وقد بدا ذلك واضحًا في تصنيفه لكتابه- مراءة الحرمين الشريفين والجزيرة العربية- الذي فاق في مضمونه ومنهجه كثيرًا مما كتب في هذا المجال بلغات أخرى.

كُتبت الموسوعة في بداية الأمر باللغة التركية العثمانية، ثم تُرجمت فيما بعد إلى اللغة العربية- أشرف على ترجمتها الدكتور محمد حرب- وتُعد عملاً موسوعيًا ضخمًا ظهر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر،

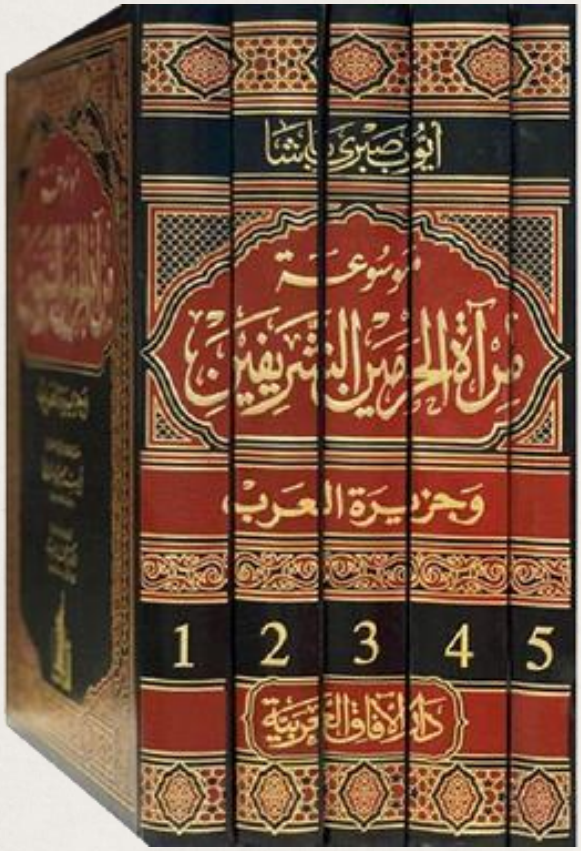

موسوعة مرآة الحرمين 5 مجلدات ، مكتبة جرير.

وهي مرحلة كانت الدولة العثمانية تسعى إلى تعزيز حضورها الإداري والعلمي في منطقة الحجاز، لذا نلحظ أن كتابات أيوب صبري باشا جاءت من ضمن سياق معرفي وسياسي بحت، فلا تُعدّ مجرد توثيق جغرافي فقط، ألا أنها تعتبر جزء من المعرفة الإدارية التي تنتجها الدولة عن اقاليمها.

نبذة عن كتاب
قراءات في التاريخ والفكر والثقافة

السياق التأليفي للموسوعة:

اعتمد أيوب صبري باشا على رصيد علمي ثري من المصادر، تجلى بقوة وكثرة مراجعه، ودقة رؤيته، وصواب تحليلاته، كما يتصف شخصياً بالتواضع الجم إذ هو يصر على وضع نفسه موضع تساؤل من جهة القارئ، وموضع التقصير أيضا، فهو كثيراً يصف نفسه بالعجز، وتتصف هذه الموسوعة بالروح العلمية؛ التي تعتمد التوثيق أساسًا لها ويظهر هذا التدقيق في الأمانة العلمية التي تمثلت في أمور منها:

1-حرصه على زيارة الأماكن التي يتحدث عنها، غير مكتف بما جمعه من مادة علمية.

2-حرصه على ذكر المصادر في مقدمة مصنفه وفي ثناياه.

وتجدر الإشارة إلى أن هذا المصنف كتب بلغة واضحة، وأسلوب سهل بعيد عن التعقيد اللغوي، وبذلك يتناسب هذا الأسلوب مع مستويات الكثير من القراء، ونلحظ من مميزات هذا المصنف احتوائه على قدر من الطرافة والجدة في آن واحد، إذ أنه مع ضخامة مادته العلمية ينأى القارئ عن فكرة الملل من خلال الاستشهاد بحكاية غريبة أو حادثة نادرة، وتارة يستشهد بأبيات من الشعر.

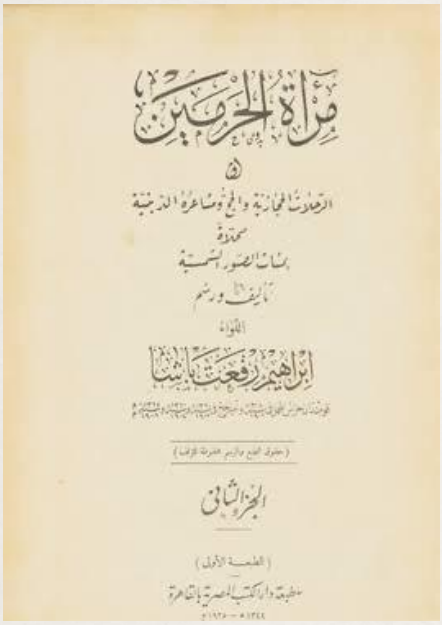

ألّف أيوب صبري باشا هذا العمل بعد سنوات من الإقامة والخدمة من ضمن الجهاز العسكري والإداري العثماني في الحجاز، حيث عُيّن في ستينيات القرن التاسع عشر مديراً للبحرية العثمانية في المنطقة. وقد أتاح له هذا الموقع الاحتكاك المباشر بالمجتمع الحجازي والاطلاع على تفاصيل الحياة اليومية والأنظمة الإدارية في تلك البلاد، والتعرف على هوية العلاقات الاجتماعية والقبلية والاقتصادية المرتبطة بالحج، واستغرق تأليف الموسوعة نحو سبعة عشر عامًا من البحث والتنقيح، اعتمد خلالها المصنف على مصادر تاريخية متعددة، إضافة إلى الروايات الشفوية التي جمعها من كبار السن وأهل البلاد، في محاولة لتوثيق الوقائع والأماكن بدقة.

نبذة عن كتاب
قراءات في التاريخ والفكر والثقافة

سمات منهج المصنف:

تميز منهج أيوب صبري باشا بالشمولية والدقة، إذ اعتمد على مصادر متنوعة وموثوقة، مع تحليل ومقارنة دقيقة للمعلومات. كما اتسم تنظيمه المنهجي للمواد التاريخية والجغرافية والاجتماعية بتسلسل واضح، مع هدف علمي وديني يسعى لخدمة القارئ وإثراء معرفته بتاريخ الحرمين وجزيرة العرب.

البناء العلمي للموسوعة ومضمونها:

رأى أيوب صبري باشا أن كثيرًا من العلماء قد ألّفوا في تاريخ الحرمين، غير أن تلك المؤلفات - على كثرتها - لم تجمع بين الشمول والاكتمال؛ إذ تناول كلٌّ منها جانبًا محددًا دون أن يقدم صورة جامعة للأماكن المقدسة والجزيرة العربية في عمل واحد، كما أن بعضها - في نظره - لم يخلُ من نقصٍ في الدقة العلمية.

ومن هذا المنطلق سعى إلى تأليف وتصنيف هذه الموسوعة ليقدم عملًا أكثر إحاطة وتنظيمًا، يضم تاريخ هذه الأماكن المقدسة في إطارٍ واحد، ويخدم أبناء العالم الإسلامي الذين يرتبطون بهذه البقاع بروابط دينية عميقة. وكان هدفه الأسمى أن تكون هذه الموسوعة مصدرًا نافعًا للمسلمين في شتى أنحاء العالم، ومعينًا لهم على معرفة تاريخ الحرمين وما يتصل بهما من معالم وأحداث، وعليه جاء العمل في خمس مجلدات كبيرة الحجم، وقُسمت إلى ثلاثة محاور معرفية رئيسية وهي كالتالي:

١.مرآة مكة (ينقسم إلى جزأين):

يتناول هذا القسم تاريخ مكة المكرمة منذ بدء الخليقة حتى زمن تأليف الكتاب(عهد السلطان عبدالحميد الثاني)_ ويشغل صفحاته من1-1145_ ويتضمن وصفًا دقيقًا للكعبة المشرفة وبنائها التاريخي، وعمليات إعادة الترميم الممتدة عبر العصور التاريخية، وكما أعطى وصفًا للأحياء والأسواق والطرق الداخلية، وقدم دراسة لتطور العمران والجماليات المكانية في الحرم المكي، بالإضافة إلى عرض تحليلي لنظام الحج بما يشمله من الوظائف المرتبطة بإدارة الحرم، أو بطريقة تنظيم وفود الحجاج، أو من خلال الخدمات المقدمة لهم، وأعطى المصنف بعدًا اقتصاديًا من خلال التعمق في وصف التجارة الموسمية في فترة الحج التي بدورها كانت سببًا في ازدهار الأسواق مما عمل على دعم الحياة الاقتصادية.

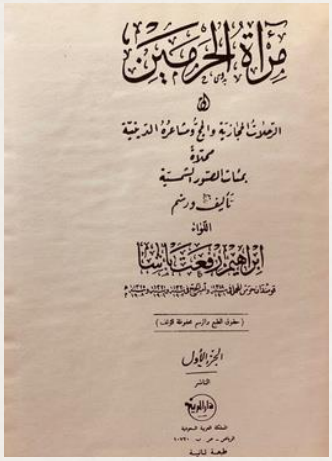

مزيد نوادر الكتب

نبذة عن كتاب
قراءات في التاريخ والفكر والثقافة

٢.مرآة المدينة (ينقسم إلى جزأين)
ويماثل في الحجم الجزء الأول- من صفحة1146-2520-ويتحدث فيه عن مراجعاته ومعلوماته الشخصية وما حصل عليه من الأخبار من خلال تحقيقاته الخاصة، وعُرض في هذا القسم صورة كاملة عن المدينة المنورة من خلال عرض تاريخ المسجد النبوي وتوسعاته على مر العصور التاريخية، وانتقل إلى إعطاء وصف تخطيطي للمدينة وأحيائها، وتحدث عن الأسر العلمية المشهورة والأشراف الذين كان لهم حضور مُلفت في الحياة الدينية في تلك الفترة، واستطرد الكاتب في الوصف التحليلي للحياة من خلال ذكر حلقات العلم في المسجد النبوي، وبالإضافة إلى سرد النظام الإداري السائد في تلك الفترة، مع إعطاء وصف لماهية علاقة السلطة العثمانية بالأعيان المحليين، وعليه صُنف هذا الجزء بأنه دائرة معارف كبيرة عن المدينة المنورة.

٣.مرآة جزيرة العرب (جزء واحد):
يعدُ أصغر جزء في الموسوعة إذ ما قورن بالجزأين السابقين-400صفحة- ومع ذلك يعتبر من أكثر أقسام الموسوعة اتساعًا، بحيث يمثل مصدرًا مهمًا لدراسة البنية القبلية والسياسية لجزيرة العرب، إذ يتجاوز الحجاز إلى دراسة جغرافية الجزيرة العربية بشكل عام، ويتوسع في تاريخ قبائلها وأنسابها، كما يتناول طرق قوافل الحج التاريخية المؤدية إلى الحرمين، مثل طرق الحج والمسالك التجارية، إضافة إلى وصف القبائل وأحوالها السياسية والاجتماعية، وتوزيع السكان ويتطرق كذلك إلى العلاقات السياسية بين القبائل، ومن الجدير بالذكر أن الكاتب أشار في مستهل هذا الجزء إلى أنه جعله ذيلاً لكل من مرآة مكة والمدينة ومن ثم وجب الحاقه بهما واعتباره جزء ثالثًا للكتاب، إذ أن معرفة أحوال جزيرة العرب وتاريخها ذا أهمية بالغة حتى تكتمل الصورة الذهنية عن الحرمين.

محتويات الجـــزء الثـانى

	صفحة
الرحلة الثانية فى سنة ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢م)...	١
تمهيل السفر الى المدينة من طريق ينبع	٢
تحرير عن السفر من طريق ينبع ...	٣
انشاد قصيد العمرة	٧
سفر المحمل من القاهرة	٨
وكيا فى مكة	٩
السفر من مكة الى جدة فينبع البحر ...	١٢
ينبع البحر	١٢
الركب فى ينبع البحر...	١٤
السفر من ينبع الى المدينة ومراحل الطريق	١٥
الركب فى المدينة المنورة...	٢٥
السفر من المدينة الى ينبع فالطور ...	٣١
الحجر الصحى بالطور...	٣١
السفر من الطور الى السويس فالقاهرة	٣٦
تحرير فى وصف الطريق بين ينبع والمدينة	٣٧
حفلات الحج فى سنة ١٣٢٠ هـ ...	٣٨
الطريق السلطانى	٤٠

	صفحة
جدول خط السير من مصر الى الحجاز	
فصر سنة ١٣٢٠هـ...	٥٠
تهنئات بالقدوم من الحج...	٥٢
الرحلة الثالثة	٥٥
أجرة السفر فى سنة ١٣٢١ هـ	٥٦
السفر من القاهرة الى السويس... ...	٥٧
السفر من السويس الى جدة فمكة ...	٥٨
عدد الحاج فى جدة سنة ١٣٢١ هـ ...	٥٨
من جدة الى مكة	٥٩
وكيا فى مكة	٦٠
قصة حمار النبى صلى الله عليه وسلم فى نسب أبى طالب	٦٢
قصيدة أبى طالب فى حمار الشعب ...	٦٤
التمنى على الحاج فى سنة ١٣٢١ هـ...	٧٠
تحرير الى الحكومة بشأن الحاج المتمنى عليهم	٧١
كشف بالحاج المتمنى عليهم	٧٢
ضبح الجرائد المصرية والمختبرة الجارية	

مزيد نوادر الكتب

نبذة عن كتاب
قراءات في التاريخ والفكر والثقافة

القيمة العلمية للموسوعة:

تكمن أهمية هذه الموسوعة في عدة جوانب أساسية، بحيث نستشف أنها ليست مجرد أحداث تاريخية، لكنها عمل يجمع بين توثيق الحياة الاجتماعية في منطقة الحجاز من القرن التاسع عشر، وبين تقديم صورة عن إدارة الحرمين في العهد العثماني، ولهذا تعد مرجعًا مهمًا في دراسة تاريخ الحجاز، خاصة المرحلة التي سبقت التحولات السياسية الكبرى في الجزيرة العربية في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، وكما تعطي وصفًا دقيقًا للعمران والأسواق والأنشطة الاقتصادية، وعلاوة على ذلك تمثل نموذجًا من أدب الرحلات التاريخي الذي يمزج بين المشاهدة الميدانية والتحقيق التاريخي.

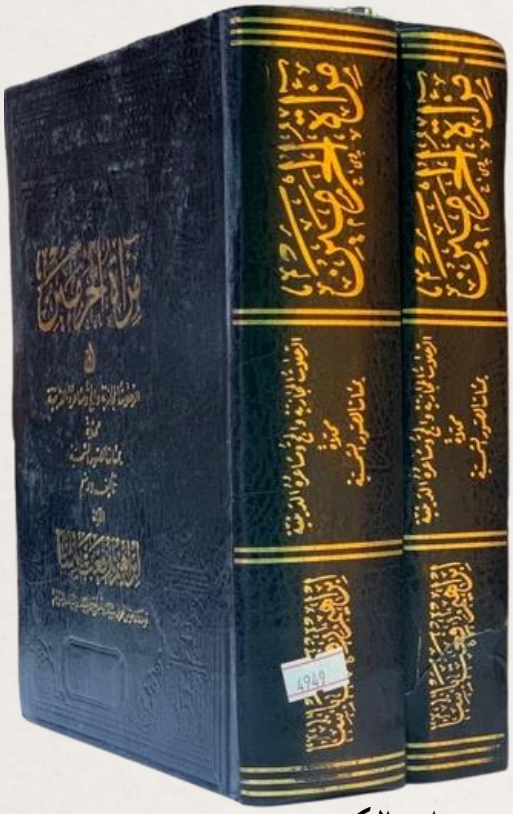

مزيد نوادر الكتب

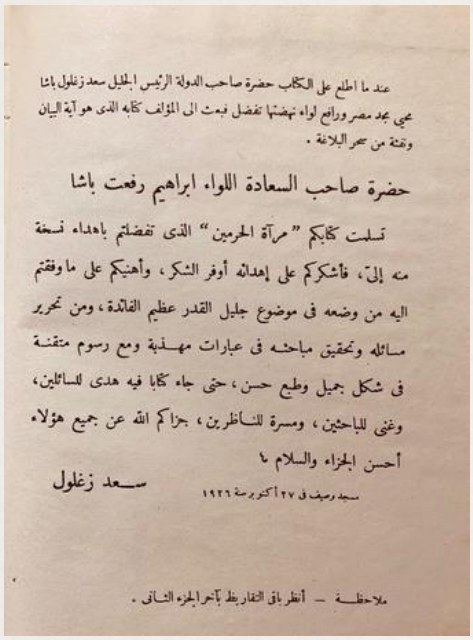

عند ما اطلع على الكتاب حضرة صاحب الدولة الرئيس الجليل سعد زغلول باشا
حيي بمد مصر ورافع لواء نهضتها تفضل فبعث الى المؤلف كتابه الذى هو آية البيان
وقطعة من سحر البلاغة .

حضرة صاحب السعادة اللواء ابراهيم رفعت باشا

تسلمت كتابكم "مرآة الحرمين" الذى تفضلتم باهداء نسخة منه إلىّ، فأشكركم على إهدائه أوفر الشكر، وأهنيكم على ما وفقتم اليه من وضعه فى موضوع جليل القدر عظيم الفائدة، ومن تحرير مسائله وتحقيق مباحثه فى عبارات مهذبة ومع رسوم متقنة فى شكل جميل وطبع حسن، حتى جاء كتابا فيه هدى للسائلين، وغنى للباحثين، ومسرة للناظرين، جزاكم الله عن جميع هؤلاء أحسن الجزاء والسلام ٦

سعد زغلول

سجد رصيف فى ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٢٦

ملاحظة — أنظر باقى التقاريظ بآخر الجزء الثانى .

مزيد نوادر الكتب

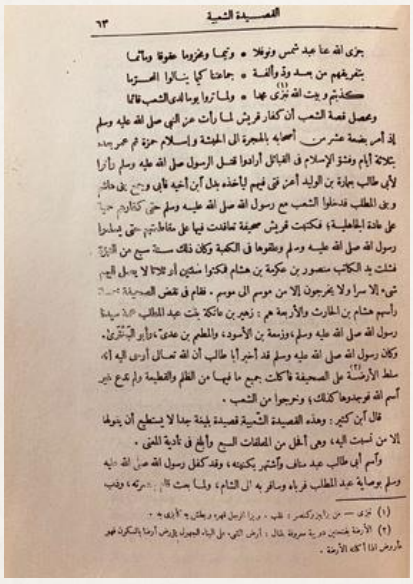

القصيدة النسية ٦٣

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا • وتيما ومخزومًا عقوقًا وماثما
بتفريقهم من مجد وألفة • جماعتنا كيما ينالوا المحرما
فكذبتم وبيت الله نجزى بها • ولما نرها يومًا لدى الشعب قائما

ويحصل فحمة الشعب أن كفار قريش لما رأت من النبي صلى الله عليه وسلم إذ أمره بضعة عشر من أصحابه بالهجرة الى الحبشة وإسلام حمزة ثم عمر بعده بستة أيام وفشو الإسلام فى القبائل أرادوا قتل الرسول صلى الله عليه وسلم فأرسلوا لأبي طالب جماعة بن الوليد أعمن فى فيهم ليأخذه بدل أن أخيه فأبى وجمع بني هاشم وبني المطلب فدخلوا الشعب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كانوا هم حمية على عادة الجاهلية، فكتبت قريش صحيفة تعاقدت فيها على مخاطبتهم حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقتلوها فى الكعبة وكان ذلك سنة سبع من النبوة فشلت يد الكاتب منصور بن عكرمة بن هشام فكتبوا سنتين أو ثلاثا لا يتصل فيهم شيء إلا سرا ولا يخرجون إلا من موسم الى موسم . فقام فى نقض الصحيفة هشام وأسم هشام بن الحارث والأربعة هم : زهير بن ماتكة بنت عبد المطلب عمة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وزمعة بن الأسود، والمطعم بن عدي، وأبو البختري. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبر أبا طالب أن الله تعالى أرسل اليه أيه سلط الأرضة على الصحيفة فأكلت جميع ما فيها من الظلم والقطيعة وأبقى فيها أسم الله فوجدوها كذلك، وخرجوا من الشعب .

قال ابن كثير : وهذه القصيدة النسية قصيدة بليغة جدا لا يستطيع أن ينظمها إلا من نسبت اليه، وهي أجل من المعلقات السبع وأبلغ فى بادية المعنى .

وأسم أبي طالب عبد مناف وأشهر بكنيته، وقد كفل رسول الله صلى الله عليه وسلم بوصاية عبد المطلب فربّاه وسافر به الى الشام، ولما بعث قام بنصرته، وذب

(١) جزى — من باب ركض ، نفع ، ويرد الرجل فهو وجلان ج أوجال .
(٢) الأرضة فتحتين دويبة معروفة بشمال ، أرض التي على الماء الجمهور يقرض أرضا بالتحريك فهو مأروض اذا أكلته الأرضة .

مزيد نوادر الكتب

معالم تاريخية

درب زبيدة من الإنشاء إلى خدمة الحجيج

بقلم: سارة بنت عبدالعزيز الصبيحي/ طالبة ماجستير تاريخ إسلامي.

شكّلت طرق الحج في التاريخ الإسلامي شرايين حيوية ربطت بين أطراف العالم الإسلامي ومكة المكرمة، ولم تكن هذه الطرق مجرد مسارات للسفر، بل كانت ممرات إيمانية وحضارية سلكها الملايين عبر القرون لأداء فريضة الحج، وقد عكست هذه الطرق عناية المسلمين بهذه الشعيرة، وحرصهم على تيسيرها، من خلال ما أُقيم عليها من مرافق وخدمات أسهمت في تأمين رحلة الحجاج وتخفيف مشاقها.

ويُعدّ طريق الحج العراقي من أبرز طرق الحج في التاريخ الإسلامي، فعندما بدأ الإسلام بالانتشار في مختلف أنحاء الجزيرة العربية، وامتدت الفتوحات الإسلامية إلى العراق وفارس وبلاد الشام ومصر وشمال أفريقيا، اتسعت رقعة الدولة الإسلامية، وتزايدت أعداد المسلمين، فأخذت أفواج الحجاج تتدفق نحو مكة المكرمة لأداء فريضة الحج.

ونتيجة لذلك، عُرفت عدة طرق للحج تربط الأماكن المقدسة بمختلف أرجاء الدول الإسلامية، فكان من بينها طريق الحج العراقي بمساريه: طريق الكوفة، وطريق البصرة، إضافة إلى طريق الحج الشامي، وطريق الحج المصري، وطريق الحج اليمني، وغيرها من الطرق التي سلكها المسلمون عبر العصور.

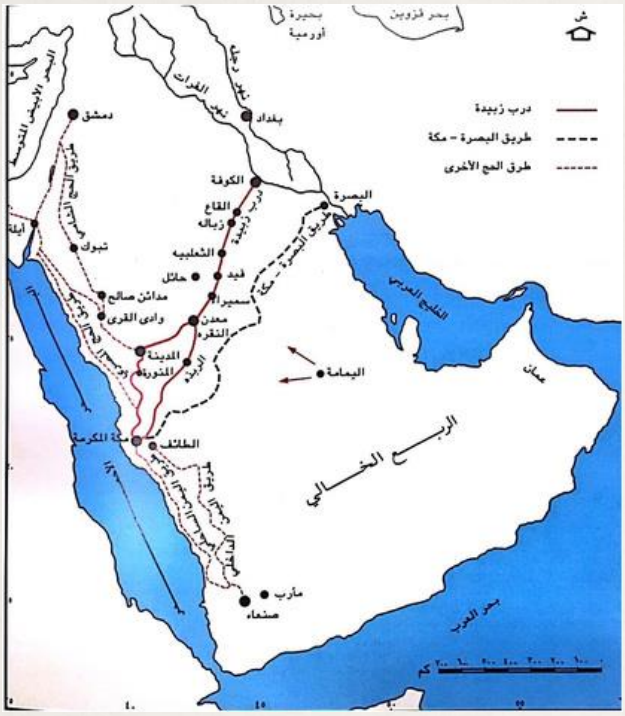

خريطة توضيحية لمسار الكوفة - مكة المكرمة (درب زبيدة)

ويعد طريق الحج العراقي طريق الكوفة - مكة المكرمة، الذي عُرف لاحقًا **بدرب زبيدة**، من أهم طرق الحج في العصر الإسلامي، وقد اشتهر بهذا الاسم نسبة إلى السيدة زبيدة بنت جعفر (ت 216هـ / 832م)، زوجة الخليفة العباسي هارون الرشيد (ت 193هـ / 809م) .

معالم تاريخية

ولم تكن مكانة زبيدة تنبع من حَسبها ونسبها فحسب فقد صنعت مجدها الخاص من علمٍ وثقافة وأعمالٍ خالدة، ولم تستغل ثراءها المادي من أجل البذخ والترف، فقد استثمرت هذه الأموال استثمارًا دائمًا لها فجعلتها في مجال الخير وخدمة الناس.

التخطيط لعمل درب زبيدة:

أدّت زبيدة بنت جعفر فريضة الحج عام (176هـ/ ٧٩٣م)، وكانت من عادات الخلفاء العباسيين أن يسيروا إلى الحج بمحمل، في موكب كبير يسير على ظهور الجمال ويضم عددًا كبيرًا من المرافقين والخدم إضافة إلى الخيام ومختلف أنواع الطعام والشراب التي تُحمل مع القافلة، ورغم ما يبدو من مظاهر الرفاهية في هذا المحمل، فإن الطريق لم يكن سهلًا، وكان هذا الموكب يعبر الصحاري والطرق الطويلة في طريقه إلى مكة المكرمة، ولم تكن الرحلة قصيرة؛ إذ كانت تستغرق أكثر من شهر كامل للوصول من بغداد إلى مكة.

من خلال هذه الرحلة أصدرت أوامر بإنشاء عدد من المصانع والمنشآت المائية على امتداد طريق الحج، إدراكًا منها لأهمية توفير الموارد الأساسية للحجاج، وفي مقدمتها الماء.

وبعد عودة القافلة إلى بغداد، بادرت إلى استدعاء المهندسين والبنائين من العمال وأصحاب الخبرة، وطلبت منهم دراسة السبل الكفيلة بمعالجة الصعوبات التي يواجهها الحجاج في طريقهم، ولا سيما مشكلة العطش، وقد عبّرت عن هدفها بوضوح، مؤكدة سعيها إلى تأمين مورد ماء دائم بحيث لا يتعرض أي حاج يسلك طريق الحج العراقي لأي معاناة.

وفي سبيل تنفيذ هذا المشروع، شرعت في إصلاح وتطوير طريق الحج الكوفي القديم، وقد أبلغت بضخامة التكاليف التي يتطلبها المشروع، إلا أنها أبدت إصرارًا على المضي فيه، وأكدت استعدادها لتحمّل النفقات وقالت:" أعملها ولو كانت الضربة بالفأس بدينار"، وهذا يعكس إدراكها لأهمية هذا العمل، وبالفعل، بلغت تكاليف المشروع مبالغ كبيرة، نظرًا لطبيعة البيئة الصحراوية وصعوبة الأعمال الهندسية، إذ شمل المشروع إيصال المياه لمسافات طويلة، من خلال شق الجبال ونحت الصخور لتمرير المياه، كما أُنشئت مرافق، ولم تقتصر الجهود على ذلك،

معالم تاريخية

بل امتدت إلى شراء بعض النخيل والمزارع من أصحابها، بهدف الاستفادة من مواردها المائية وتغذية الطريق بالمياه.

وقد قام هذا المشروع على مجموعة من العناصر الأساسية، كان في مقدمتها توفير مصادر المياه على طول الطريق لخدمة الحجاج، إلى جانب وضع علامات وإشارات إرشادية تساعد المسافرين على الاهتداء إلى المسار الصحيح، فضلًا عن رصف المقاطع الرملية بالحجارة لتسهيل حركة القوافل وتحسين ظروف السير على الطريق.

وقد وصف الرحالة ابن جبير (٥٣٩- ٦١٤ هـ) هذا الطريق في رحلته، مشيرًا إلى ما أُقيم عليه من منشآت، فقال:

"وهذه المصانع والبِرَك والآبار والمنازل التي من بغداد إلى مكة، هي آثار زبيدة بنت جعفر، انتدبت لذلك مدة حياتها، فأبقت في هذا الطريق مرافق ومنافع تعمّ وفد الله تعالى كل سنة من لدن وفاتها إلى الآن، ولولا آثارها الكريمة في ذلك لما سُلكت هذه الطريق"

بركة وجره(الخرابة) من محطات درب زبيدة بالقرب من قرية العدل في محافظة الطائف.

ويُظهر هذا الوصف بوضوح الأثر العميق الذي تركته زبيدة في تطوير طريق الحج العراقي إذ أسست بنية تحتية مستدامة استمر نفعها عبر القرون، ويُعد هذا النص شاهدًا تاريخيًا مهمًا على نجاح المشروع الذي تبنّته زبيدة، وعلى مدى استمرارية أثره في خدمة الحجاج.

مسار درب زبيدة:

يبدأ مسار درب زبيدة من الكوفة، ثم يمتد عبر مناطق صحراوية مارًّا بعدد من المواقع التي تقوم فيها اليوم مدن حديثة مثل: رفحاء، والأحمر، وفيد، وسميرة، وصولًا إلى مهد الذهب، وعند اتصاله بوادي العقيق القريب من الطائف، يتجه عبر جبال الحجاز، ثم يواصل امتداده في أكثر من ١٤٠٠ كم حتى يصل إلى أطراف مكة المكرمة.

ويشير سعد الراشد إلى أنه على الرغم من أن الطريق أصبح مهجورًا في الوقت الحاضر، فإن أجزاءً من مساره لا تزال معروفة، وقد أُجريت دراسات ميدانية على بعض امتداداته، شملت نحو خمسين موقعًا ضمن مسافة تقارب ١٠٠ كيلومتر داخل المملكة العربية السعودية.

معالم تاريخية

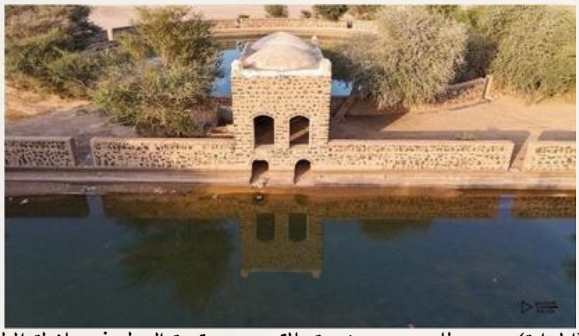

بركة وجره (الخرابة) من محطات درب زبيدة بالقرب من قرية العدل في محافظة الطائف.

الخُلاصة، يتّضح أن هذا الطريق كان مشروعًا حضاريًا متكاملًا أسهم في تحقيق الاستقرار وتيسير الحياة في مكة المكرمة والمناطق الواقعة على امتداده، فمن الناحية الاجتماعية والاقتصادية، يمكن النظر إلى درب زبيدة بوصفها أحد أبرز مشروعات الأمن المائي في تاريخ الجزيرة العربية، إذ أسهمت في دعم الاستقرار العمراني والاقتصادي على امتداد الدرب وفي مكة المكرمة، وساعدت على استمرارية مواسم الحج التي شكّلت عبر العصور ركيزة أساسية في النشاط الاقتصادي للمدينة.

كما حظي درب زبيدة عمومًا باهتمام الخلفاء والولاة على مر العصور، حيث استمرت أعمال العناية به وتطوير مرافقه بما يضمن سلامة الحجاج وراحتهم،

ولا يزال هذا الطريق يُعد اليوم شاهدًا حيًا على الجهود الحضارية التي بذلها المسلمون في خدمة الحج، ومعلمًا تاريخيًا وثقافيًا بارزًا، وفي العصر الحديث، حظي هذا الطريق باهتمامٍ ملحوظ، إذ أولى الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود عناية خاصة به، وكان يتطلع إلى ترميمه وإحياء دوره التاريخي، واستمر هذا الاهتمام، حيث أصبح الطريق أحد المشروعات الرئيسة المرتبطة بالتراث الوطني، وتبنّت هيئة التراث السعودية جهود المحافظة عليه بوصفه إرثًا تاريخيًا وثقافيًا يعكس عناية المسلمين بطرق الحج عبر العصور.

درب زبيدة، وكالة الأنباء السعودية

معالم تاريخية

مجَنّة... السوق الذي سبق الحكاية

بقلم : نوره بنت ابراهيم بن طالب
باحثة في التاريخ الحديث والمعاصر

يُعد سوق مجنّة واحدًا من أشهر أسواق العرب في الجاهلية، وقد ارتبط ارتباطًا وثيقًا بموسم الحج وبحركة التجارة والثقافة في الجزيرة العربية قبل الإسلام، يقع هذا السوق في منطقة قريبة من مكة المكرمة، وتحديدًا في محافظة الجموم التي تبعد نحو ثلاثين كيلومترًا عنها، وكان محطة رئيسة لقوافل الحجاج والتجار قبل دخولهم مكة.

وقد ورد ذكر سوق مجنّة في عدد من المصادر التاريخية والبلدانية القديمة، ومنها ما أورده المؤرخ ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان، حيث أشار إلى أن "مجنة" اسم لموضع وسوق من أسواق العرب في الجاهلية.

وكان هذا السوق جزءًا من منظومة أسواق موسمية شهيرة ارتبطت بالحج، مثل سوق عكاظ وسوق ذي المجاز، إذ كان العرب يتنقلون بينها وفق ترتيب زمني محدد خلال موسم الحج.

تكمن أهمية الحديث عن سوق مجنّة في كونه يمثل نموذجًا واضحًا للحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الجزيرة العربية قبل الإسلام، فلم تكن هذه الأسواق مجرد أماكن للبيع والشراء، بل كانت فضاءات مفتوحة للحوار الثقافي والتواصل الاجتماعي بين القبائل العربية.

كما لعبت هذه الأسواق دورًا مهمًا في تنظيم حركة التجارة الموسمية، حيث كانت القوافل التجارية تتجمع في نقاط محددة قبل التوجه إلى مكة المكرمة. وقد جعل موقع سوق مجنّة القريب من طرق الحج مركزًا لتبادل السلع والبضائع القادمة من مختلف أنحاء الجزيرة العربية.

إلى جانب ذلك، كانت الأسواق العربية القديمة مسرحًا للحياة الفكرية والأدبية، حيث تُلقى القصائد وتُعقد المنافسات الشعرية وتُناقش القضايا القبلية والاجتماعية. ومن هنا فإن دراسة سوق مجنّة تسهم في فهم جانب مهم من التاريخ الثقافي والاجتماعي للعرب قبل الإسلام.

كما أن أهمية هذا الموضوع تتزايد اليوم في ظل الاهتمام المتنامي بالتراث الثقافي في المملكة العربية السعودية، وارتباط ذلك بجهود الحفاظ على المواقع التاريخية وإحياء الذاكرة الثقافية للمجتمع.

معالم تاريخية

تهدف هذه المقالة إلى إبراز القيمة التاريخية والثقافية لسوق مجنّة بوصفه أحد أبرز أسواق العرب القديمة، مع تسليط الضوء على دوره في الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الجزيرة العربية.

كما تسعى المقالة إلى التعريف بهذا الموقع التاريخي وإعادة لفت الانتباه إليه بوصفه جزءًا من التراث الثقافي الذي يعكس طبيعة المجتمع العربي قبل الإسلام، ويكشف عن طبيعة التفاعل بين التجارة والثقافة والحياة الاجتماعية في تلك الفترة.

كانت الأسواق الموسمية في الجاهلية تمثل ظاهرة اقتصادية وثقافية بارزة في حياة العرب، حيث كانت القبائل تجتمع في أوقات محددة من السنة للتجارة وتبادل الأخبار وعقد التحالفات. ومن أبرز هذه الأسواق: سوق عكاظ، وسوق مجنّة، وسوق ذي المجاز.

وقد ارتبطت هذه الأسواق بموسم الحج، إذ كان العرب يقصدونها تباعًا، فيبدأون بسوق عكاظ، ثم ينتقلون إلى سوق مجنّة، ثم إلى سوق ذي المجاز قبل دخولهم مكة لأداء مناسك الحج.

ومن حيث السلع المتداولة، كان سوق عكاظ يتميز بتنوع تجاري واسع، إذ عُرضت فيه السلع النفيسة كالأقمشة الفاخرة والأسلحة والخيول والعطور القادمة من مناطق مختلفة من الجزيرة العربية وخارجها، نظرًا لمكانته الكبرى بين أسواق العرب. أما سوق مجنّة فغلبت عليه السلع المرتبطة بحاجات القوافل والحجاج، مثل المؤن الغذائية والمنتجات المحلية والماشية، بحكم قربه من مكة وارتباطه المباشر بموسم الحج.

وكان هذا التسلسل يعكس تنظيمًا واضحًا للحياة الاقتصادية والاجتماعية، حيث تتحول تلك المواقع في مواسم معينة إلى مراكز نابضة بالحياة تستقطب التجار والشعراء والخطباء من مختلف القبائل.

معالم تاريخية

يقع سوق مجنّة في منطقة قريبة من مكة المكرمة، ضمن نطاق محافظة الجموم، وهو موقع استراتيجي يربط طرق القوافل القادمة من شمال الجزيرة العربية ووسطها باتجاه مكة.

وقد ساعد هذا الموقع في جعل السوق محطة رئيسة للحجاج والتجار على حد سواء. وتشير بعض الدراسات الميدانية إلى وجود بقايا معمارية وأثرية في الموقع، مثل أساسات مبانٍ قديمة ومسجد السوق وبعض القطع الفخارية التي تدل على النشاط البشري في المنطقة عبر فترات زمنية مختلفة.

كما أظهرت البحوث الأثرية التي أُجريت في المنطقة أن الموقع كان جزءًا من شبكة طرق تاريخية تربط بين مراكز التجارة والحج في الحجاز

لم يقتصر دور سوق مجنّة على التجارة فحسب، بل كان مركزًا للحراك الاجتماعي والثقافي بين القبائل العربية. فقد كان التجار يعرضون مختلف السلع، مثل الأقمشة والجلود والمواد الغذائية، إضافة إلى الحيوانات والمنتجات الزراعية.

صورة تخيلية بالذكاء الصنعي لسوق مجنة

الوقت نفسه، كان السوق ساحة للقاء القبائل وتبادل الأخبار وعقد الاتفاقات، كما كان مكانًا للمناظرات الشعرية والخطابية.

وتشير بعض المصادر إلى أن النبي محمد بن عبد الله كان يزور الأسواق العربية في بداية الدعوة الإسلامية لعرض رسالته على القبائل العربية،

معالم تاريخية

وكان سوق مجنّة من بين هذه الأسواق التي شهدت مثل هذه اللقاءات.

وهذا يدل على أن السوق لم يكن مجرد فضاء اقتصادي، بل كان أيضًا فضاءً اجتماعيًا وفكريًا مؤثرًا في المجتمع العربي.

مع مرور الزمن وتغير أنماط الحياة الاقتصادية، تراجعت أهمية الأسواق الموسمية القديمة، إلا أن آثارها بقيت شاهدة على مرحلة مهمة من تاريخ الجزيرة العربية.

وقد اهتم عدد من الباحثين المعاصرين بدراسة موقع سوق مجنّة ومحاولة تحديد موضعه بدقة، ومن أبرز هذه الدراسات كتاب الباحث عبدالله بن محمد الشايع بعنوان سوق مجنّة: بحث في تحقيق موضعه، الذي تناول فيه المصادر التاريخية والرحلات الميدانية المتعلقة بتحديد موقع السوق.

وتشير هذه الدراسات إلى أهمية الموقع بوصفه جزءًا من شبكة الأسواق العربية التي لعبت دورًا محوريًا في الحياة الاقتصادية والثقافية قبل الإسلام.

يمثل سوق مجنّة أحد الشواهد التاريخية المهمة على طبيعة الحياة في الجزيرة العربية قبل الإسلام،

صورة واقعية لآثار سوق مجنة

وقد عكس هذا السوق، إلى جانب غيره من الأسواق الموسمية، حيوية المجتمع العربي وقدرته على تنظيم النشاط الاقتصادي والثقافي في إطار موسمي مرتبط بالحج.

إن دراسة هذه الأسواق لا تقتصر على الجانب الاقتصادي فحسب، بل تكشف أيضًا عن ملامح الحياة الفكرية والاجتماعية للعرب في تلك الفترة، وتساعد في فهم جذور التقاليد الثقافية التي تشكل جزءًا من التراث العربي والإسلامي.

معالم تاريخية

يمكن اقتراح عدد من التوصيات التي تسهم في إبراز أهمية سوق مجنّة تاريخيًا وثقافيًا، من أبرزها:

١.تعزيز الدراسات التاريخية والأثرية المتعلقة بالموقع.

٢.توثيق الآثار المتبقية في منطقة السوق وحمايتها من التعديات.

٣.إدراج الموقع ضمن البرامج السياحية والثقافية المرتبطة بتاريخ مكة المكرمة.

٤.الاستفادة من التقنيات الحديثة في إعادة تصور الأسواق التاريخية وإحيائها ثقافيًا.

إن الحفاظ على مثل هذه المواقع لا يسهم فقط في حماية التراث التاريخي، بل يعزز أيضًا الوعي بتاريخ الجزيرة العربية ودورها الحضاري عبر العصور.

سوق مجنّة ، وكالة الأنباء السعودية.

سوق مجنّة ، وكالة الأنباء السعودية.

سوق مجنّة ، وكالة الأنباء السعودية.

حوار مع شخصية تاريخية

حوار مع شخصية تاريخية "الصحابي الجليل زيد بن ثابت رضي الله عنه "

بقلم : مزنة بنت داود الشقير / باحثة في التاريخ الإسلامي

الصحابي الجليل زيد بن ثابت رضي الله عنه من أبرز شخصيات التاريخ الإسلامي، فقد جمع بين العلم والفقه والكتابة، وكان من كتاب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أعلم الصحابة بالفرائض والقرآن، ولد في لمدينة المنورة ونشأ في بيت من بيوت الأنصار من بني النجار، وكان عمره عند قدوم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة إحدى عشرة سنة، وقد عرف منذ صغره بذكائه وحرصه على العلم وخدمة الإسلام.

وفي هذا الحوار سأحاول أن أقترب من شخصيته العظيمة والجليلة والتعرف إلى ملامح حياته العلمية والإنسانية من خلال أسئلة وأجوبة تستند إلى ما ورد في المصادر التاريخية الموثوقة حصلت عليها من خلال بحثي في المكتبة الشاملة الحديثة.

المجلة :بدايةً نود أن نتعرف على نسبك الكريم ونشأتك الأولى.

زيد بن ثابت : أنا زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوذان من بني النجار من الأنصار، وأمي النوار بنت مالك. نشأت في المدينة المنورة بين قومٍ عُرفوا بنصرتهم للإسلام ووقوفهم إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد كان لذلك أثرٌ كبير في تكويني منذ الصغر".

المجلة :كيف كانت أولى مراحل علاقتك برسول الله صلى الله عليه وسلم؟

زيد بن ثابت :عندما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كان عمري إحدى عشرة سنة، وقد نشأت في ظل الدعوة الإسلامية منذ بداياتها في المدينة، وكنت حريصًا على تعلم القرآن والاقتراب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وخدمته، وقد تشرفت لاحقًا بالعمل كاتبًا للوحي الذي ينزل عليه من عند الله.

حوار مع شخصية تاريخية

تكملة الحوار :

المجلة :من المعروف أنك كنت من كتّاب الوحي، فكيف بدأ هذا الدور المهم في حياتك؟ زيد بن

زيد بن ثابت :نعم... كنت أكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي وغيره من الرسائل، وكان ذلك شرفًا عظيمًا لي، وكانت ترد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسائل وكتب بلغات مختلفة، فأمرني أن أتعلم لسريانية حتى أتمكن من قراءة تلك الرسائل وكتابتها، فتعلمتها وقمت بكتابة ما يرد إليه من كتب، كما كتبت بعد وفاته لأبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما".

المجلة :شاركت في أهم الأحداث التاريخية، فهل تحدثنا عن ذلك؟

زيد بن ثابت :في بداية الأمر استصغرني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فلم أشارك فيها لصغر سني، كنني شهدت بعد ذلك عددًا من الأحداث المهمة في حياة المسلمين، ومن ذلك مشاركتي في غزوة الخندق، حيث كنت أنقل التراب مع المسلمين أثناء حفر الخندق دفاعًا عن المدينة. °

المجلة : اشتهرتم بالعلم والفقه بين الصحابة، فما سبب ذلك في رأيكم؟

زيد بن ثابت :حرصت منذ صغري على تعلم القرآن الكريم وفهم أحكامه، كما تعلمت من رسول الله **صلى الله عليه وسلم مباشرة. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في فضل العلم بالفرائض: «أفرضكم زيد»**"، وهو شرف عظيم أعتز به، فقد اجتهدت في تعلم أحكام المواريث وتعليمها للناس. "

المجلة :ما أبرز المجالات العلمية التي تميزت بها بين الصحابة؟

زيد بن ثابت : عرف عني الاهتمام بالقرآن الكريم وعلومه، إضافة إلى علم الفرائض والفقه وقد ذكر العلماء أن الناس كانوا يعتمدون على علمي في مسائل المواريث والفتوى، حتى إن كثيرًا من الصحابة والتابعين كانوا يرجعون إليّ في هذه المسائل.

حوار مع شخصية تاريخية

نهاية الحوار:

المجلة : كيف كانت مكانتك العلمية بين الصحابة والتابعين؟

زيد بن ثابت :لقد كان الصحابة يقدّرون العلم وأهله، وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه أخذ بركابي احترامًا للعلم وقال: هكذا نفعل بعلمائنا وكبرائنا". كما قال بعض الصحابة إن زيد بن ثابت من الراسخين في العلم، وهو قول يدل على تقديرهم لما تعلمته من القرآن والسنة.

المجلة :توليت أيضًا بعض المسؤوليات في الدولة الإسلامية، فهل تخبرنا عنها؟

زيد بن ثابت : نعم، لقد استخلفني عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المدينة أكثر من مرة عندما كان يسافر، كما كان عثمان بن عفان رضي الله عنه يستخلفني أيضًا إذا خرج للحج. وكان ذلك تكليفًا كبيرًا يدل على الثقة التي أولاني إياها الخلفاء الراشدون.

المجلة : كيف كانت صفاتك الشخصية في الحياة اليومية؟

زيد بن ثابت : كان الناس يصفونني بأني أكون مرحًا بين أهلي وأهل بيتي، لكنني أكون أكثر وقارًا وهيبة عندما أجلس في مجالس الناس. وهذا أمر طبيعي فلكل مقام ما يناسبه من السلوك والأدب.

المجلة : كيف كانت نهاية حياتك، وما الذي قيل عنك بعد وفاتك؟

زيد بن ثابت :توفيت في المدينة المنورة في منتصف القرن الأول الهجري، وقد حزن الناس لوفاتي لما كان لي من دور في تعليم العلم/ وقد قال أبو هريرة رضي الله عنه عند وفاتي: "اليوم مات حبر هذه الأمة"، وهو قول يدل على تقدير الصحابة لمكانة العلم وأهله.!

وختاماً فإن شخصية الصحابي الجليل زيد بن ثابت رضي الله عنه نموذجًا مميزًا للعالم المسلم الذي جمع بين العلم والعمل وخدمة الدين، فقد كان كاتبًا للوحي، وعالمًا بالقرآن والفرائض، ومرجعًا علميًا للمسلمين في عصره.

امسح الباركود لزيارة موقع المجلة :

للتواصل معنا بشأن المجلة (إرسال مقالات، استفسارات):

THAHLAN@OUTLOOK.COM